تأميم القناة من منظور سياسي

علاقة إنجلترا بجمال عبد الناصر

كانت بريطانيا ترى في عبد الناصر مخلب الدب الذي استخدمته أمريكا في إقصاء النفوذ البريطاني عن مناطق إستراتيجية تحتوي على منابع البترول والمواد الخام ، وحرضته لمعارضة السياسة البريطانية وخاصة فيما يتعلق بالأحلاف العسكرية، ودعَّمته في توجهاته الداعية إلى استقلال الشعوب . وكان من الطبيعي أن تسوء العلاقات بين مصر وبريطانيا بل أن بريطانيا تعد عبد الناصر هو عدوها الأكبر الذي تسعى للقضاء عليه .

وكان المستر سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية يعتبر عبد الناصر قوميّاً منذ مارس ١٩٥٦ عندما دبر عبد الناصر، أو هكذا ظن سلوين لويد ، عملية طرد جلوب رجل بريطانيا وعينها الساهرة في الأردن . [١]

خلفيات العدوان الثلاثي

منذ بداية ١٩٥٦ وقعت عدة أحداث كانت تنبئ أن عدواناً قريباً قد يحدث على عبد الناصر قبل تأميم قناة السويس وأهم هذه الأحداث :

١- طرد جلوب من الأردن

جلوب ضابط بريطاني قاد الجيش العربي الأردني بين العامين ١٩٣٩- ١٩٥٦. بقي في منصب قيادة الجيش العربي الأردني حتى ٢ مارس ١٩٥٦ حيث أعفاه الملك الحسين بن طلال من مهامه بدعوى تعريب قيادة الجيش الأردني . وكان هذا القرار

([1]) بول جونسون " حرب السويس " دار المعارف ص ١٧ .

obeikandl.com

بمثابة صدمه للإمبراطورية البريطانية وأدى إلى تدهور العلاقات الأردنية مع بريطانيا وأميركا وحلفائهما. وقد أرسل إيدن رسالة إلى الملك حسين لكي يعيد النظر في قراره، وظنت بريطانيا أن عبد الناصر كان وراء هذا القرار ، وقال أنتوني إيدن أن عبد الناصر هو عدونا رقم (١) في الشرق الأوسط ، ولن يستريح حتى يقضي على كل أصدقائنا وعلى كل جزء من نفوذنا .[١]

٢- مساعدة عبد الناصر ثورة الجزائر

اندلعت الثورة الجزائرية في الأول من نوفمبر ١٩٥٤ ضد المستعمر الفرنسي. ولقد تم وضع اللمسات الأخيرة للتحضير لاندلاع الثورة التحريرية في اجتماعي ١٠ و٢٤ أكتوبر ١٩٥٤ بالقاهرة من طرف لجنة الستة ومجلس قيادة الثورة المصري . ولقد أيدت مصر /عبد الناصر ثورة الجزائر ومدتها بالسلاح والعتاد . وغضبت فرنسا من عبد الناصر وحمَّلته مسئولية اندلاع ثورة الجزائر التي لا تحركها – في ظنها – سوى المساعدات المصرية، فإذا توقفت هذه المساعدات فإن الأمور كلها سوف تهدأ ، وأرسلت فرنسا وزير خارجيتها كريستيان بينو إلى القاهرة ليقنع عبد الناصر بالتوقف عن تأييد الثورة الجزائرية مقابل مساعدة فرنسا للعرب في سياستهم وكان رد عبد الناصر هو أن تخلي مصر عن الوطنيين الجزائريين يعني " أن أتخلى عن قوميتي العربية "، وغادر بينو مصر وقد عقد العزم على التخلص من عبد الناصر .[٢]

٣- اعتراف مصر بالصين الشعبية

أجرت إنجلترا محاولة مع الاتحاد السوفييتي حول قضايا الشرق الأوسط في إبريل ١٩٥٦ ، وركز إيدن على مسألة إيقاف الاتحاد السوفييتي إمداد مصر بالأسلحة ، موضحاً تصميم إنجلترا على استخدام القوة إذا تطلب الأمر ذلك للمحافظة على مصالحها في الشرق الأوسط ، وأشار إلى أهمية البترول وبالطبع لم يقبل الجانب

([1]) أ.د. رءوف عباس حامد موسوعة " ناصر " شركة الأفق للبرمجيات التفاعلية.
([2]) أ.د. رءوف عباس حامد موسوعة " ناصر " مرجع سابق .

السوفيتي ، وصرح خروشوف في مؤتمر صحفي قبل مغادرته لندن بأن الاتحاد السوفييتي على استعداد للموافقة على حظر شحن الأسلحة للشرق الأوسط بشرط أن تفرضه الأمم المتحدة .

أدرك عبد الناصر أنه من الممكن مشاركة الاتحاد السوفييتي في حظر الأسلحة ، وبالتالي تصبح الأبواب موصدة أمامه ، لذا أعلن رسمياً اعتراف مصر بجمهورية الصين الشعبية في ١٦ مايو ١٩٥٦ لأنها ليست عضواً في الأمم المتحدة، وبالتالي لن تخضع لقرار الحظر إذا اتخذ ، ومن ثم يمكن استيراد الأسلحة منها ، كما أعلن أيضا قبوله دعوة شواين لاي لزيارة الصين . [١]

٤- تغير السياسة الأمريكية تجاه عبد الناصر

بعد أن كانت أمريكا تدعم عبد الناصر ضد الملكية ، والإنجليز ، وحتى ضد محمد نجيب فإن ربيع ١٩٥٦ قد حمل تغيير السياسة الأمريكية تجاه عبد الناصر بعد أن تبلور خروجه عن الصف الغربي ، ولاح في الأفق فشل تسوية النزاع العربي الإسرائيلي وهنا تقاربت الرؤى الأنجلو أمريكية تجاه العمل ضد عبد الناصر ، وذلك بعد أن اتفق الطرفان على أنه يشكل عقبة حقيقية في طريق الغرب ينبغي إزالتها في أقرب فرصة ، وبذلك تركت واشنطن سياسة تحييد عبد الناصر التي كانت ترى أنها أفضل من تدميره وفقاً للمنطق البريطاني .

وبطبيعة الحال كانت بريطانيا تفوق الولايات المتحدة في عدائها لعبد الناصر وبذلت كل طاقاتها لتتكاتف جهودها مع واشنطن لإبعاده عن طريقهما ، فدقت ناقوس الخطر السوفييتي الذي يهدد منطقة البترول مركز المصالح الأمريكية، وأصبح كل من ايزنهاور ودالاس على استعداد للقيام بخطوة عملية للوقوف ضد عبد الناصر . [٢] وجرت مناقشات بين الجانبين البريطاني والأمريكي إزاء إمكانية تدبير انقلاب في

([1]) د.لطيفة محمد سالم " أزمة السويس " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٠٣ .
([2]) د.لطيفة محمد سالم " أزمة السويس " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٣٩ .

obeikandl.com

مصر مماثل للانقلاب الذي أطاح بمصدَّق في إيران ، ولكن اتضح أن الظروف غير متشابهة ، ومع هذا فمسألة البحث عن بديل احتلت حيزاً في التفكير ، وتم استعراض الأسماء من داخل مصر ، محمد نجيب (كان معتقلاً حينئذ)، علي ماهر ، مصطفى النحاس ، ولكن رُئي أنهم جميعاً لا يصلحون ، كما أن أي رجل عسكري لن يختلف عن عبد الناصر .

أما عن البحث خارج مصر للعثور على بديل فاتفقت لندن وواشنطون على أن الملك سعود هو الأنسب ، على ألا يكون ملكاً على عرش مصر ، وإنما ليسحب الزعامة من عبد الناصر ، وقد سجل إيزنهاور رغبته في إعداد السعودية وليبيا للزعامة العربية بدلاً من مصر . [1]

ومضى التخطيط البريطاني الداعي إلى العنف ضد جمال عبد الناصر وتولته المخابرات البريطانية وبذلت مساعيها لإشراك المخابرات المركزية الأمريكية معها، وتشكلت لجنة من الجانبين البريطاني والأمريكي ، وعقدت اجتماعاتها بلندن في إبريل ١٩٥٦ وجاءت تعليمات إيدن بتصفية عبد الناصر ، ولم توافق المخابرات المركزية الأمريكية ، واستدعت كيم روزفلت رئيس قسم الشرق الأوسط للمخابرات وهو صديق لعبد الناصر لتعلمه خطة المخابرات البريطانية فرفضها ، كما أبلغ دالاس المندوب الأمريكي الدائم في الأمم المتحدة أن واشنطن لا تفكر في اللجوء إلى عمل متطرف في الشرق الأوسط ، وعن طريق التأثير الأمريكي على لندن انزوت خطة اغتيال عبد الناصر جانباً .

أمريكا والسد العالي

جاء مشروع بناء السد العالي فصلاً آخر من فصول سوء الفهم بين الولايات المتحدة وعبد الناصر ، فلم يكتف الاتحاد السوفيتي بكسب الجولة الأولى في انحياز عبد الناصر له بإتمام صفقة الأسلحة بل إنه سعى لكسب جولة أخرى بتقديم مساعدات

([1]) د.لطيفة محمد سالم " أزمة السويس " مرجع سابق ص ١٤٠ .

اقتصادية لعبد الناصر . ولقد وجدت الولايات المتحدة وبريطانيا أن المساهمة في تمويل وبناء السد فرصة لقطع الطريق على الاتحاد السوفيتي لمواصلة استمالة عبد الناصر للانحياز للكتلة الشرقية .

لذا أصبحت مسألة تمويل المشروع المصري في قمة أولويات الولايات المتحدة وبريطانيا . ولم يكن تفضيل مصر الدائم للمساعدة الغربية هي التي خلقت الإحساس العاجل المفاجئ بالمسألة وإنما كان العرض السوفيتي للمساعدة والذي حين أضيف إلى الصفقة التي تمت بالفعل قد فهم في واشنطن وحتى إلى درجة أكثر عجلة في لندن باعتباره تحدياً من الدرجة الأولى في الحرب الباردة . وفي ٢٠ أكتوبر بدأت الخارجية الأمريكية تروج لتقارير عامة عن استعداد واشنطن المساعدة في بناء السد العالي وكذلك نهر الأردن . " [١]

وفي الشهور الأخيرة لعام ١٩٥٥ اعتقد دالاس (الذي أصبح مسئولاً عن إدارة رد فعل الولايات المتحدة بعد إصابة أيزنهاور بأزمة قلبية [٢]) أن اشتراك الولايات المتحدة في تمويل المشروع سوف يولد درجة من الاعتماد المصري على الغرب وكذلك انشغالاً مصريّاً ببناء السد يكفي لصد سياسات لا تتفق مع مصالح الولايات المتحدة وما كان دالاس يحاول أن يفعله كما لاحظ مستشاره القانوني في وزارة الخارجية Hermen Phleger " هو أن نضع مصر في طريق تكريس مواردها لبناء السد وهو ما سوف يعيق في حد ذاته مغامرات عسكرية ، كما سوف يكون مساهمة عظيمة لاستقرار وسلامة وأمن ومستقبل مصر . " [٣]

وكانت مبادرة الولايات المتحدة بتقديم المساعدة في بناء السد العالي محاولة لإفساد الانتصار الذي حققته الدبلوماسية السوفيتية في صفقة الأسلحة . وأكد أيزنهاور نفسه أن هدف اقتراح المعونة هو وقف نمو العلاقات العسكرية بين مصر والسوفييت . [٤]

([1]) جيفري ارونسون " العلاقات المصرية الأمريكية " مكتبة مدبولي ص ٢٢٩.
([2]) نفسه ص ٢١٣.
([3]) نفسه ص ٢٣١.
([4]) نفسه ص ٢٣٦.

obeikandi.com

ونصح تيتو أثناء زيارته لمصر عبد الناصر بقبول العرض الأمريكي كعنصر موازن لارتباطات مصر المتزايدة مع السوفييت وعمل عبد الناصر بنصيحة تيتو فقبل بالعرض الأمريكي لكنه رفض أن يكون قبوله بالعرض الأمريكي يعني عودته كحليف خالص لأمريكا دون السوفييت ، وقد بدأ يجني ثمار عدم الانحياز لإحدى القوتين العظميين ، وكان يأمل أن يضع قدماً في الغرب وأخرى في الشرق ، وأن يحصل على مساعدات من هنا وهناك دون التزام بسياسة هذا ولا ذاك .

ورفض دالاس سياسة عبد الناصر هذه " إن الولايات المتحدة لا تستطيع تأييد المساعدة للسد بينما ناصر يحاول في نفس الوقت أن يحصد مزايا يتيحها الشرق والغرب " [١] فقد كان دالاس يتصور أن موافقة أمريكا على تمويل السد يعد " وسيلة لدفع مصر إلى رفض المبادرات السوفيتية وإلى تحالفها مع الولايات المتحدة ". [٢]

وبرفض عبد الناصر سياسة دالاس تقلصت أهمية مشروع السد بالنسبة للولايات المتحدة ، لأن دالاس لا يقبل أن تقف الولايات المتحدة على قدم المساواة مع السوفييت في علاقة عبد الناصر بها فهو يؤمن بالمبدأ الذي أعلنه جورج بوش الابن بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ " من ليس معنا فهو ضدنا " و " الدول التي ليست مع الولايات المتحدة فهي ضدها " [٣] .

لذا بدأت السياسة الأمريكية في العمل على عزل عبد الناصر " فقد كان اعتقاد أيزنهاور ثابتاً بأن ناصر يسير في طريق معارض لمصالح الولايات المتحدة وهو الطريق الذي يتعين على الولايات المتحدة أن تشرع في سياسة مضادة تهدف إلى عزل مصر .

ورغم عدم ذكر هذا بوضوح فإن تأييد الولايات المتحدة للسد سوف يكون غير متسق كلية مع هذه الاستراتيجية. وفي ٨ مارس ١٩٥٦ كتب أيزنهاور في يومياته: " لقد

([1]) نفسه ص ٢٥١.
([2]) نفسه ص ٢٤١.
([3]) راجع أحاديث جورج بوش بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وفي وكالات الأنباء العالمية .

وصلنا إلى نقطة يبدو معها أن مصر تحت قيادة ناصر لن تتخذ أي حركة أيّاً كانت للالتقاء بالإسرائيليين في جهد لتسوية الخلافات الرئيسية . وزيادة على ذلك فإن العرب وهم يستوعبون شحنات كبيرة من الأسلحة السوفيتية إنما ينمون يوميّاً بشكل متغطرس وعدم مبالاة لمصالح أوربا الغربية والولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط ، وسيبدأ في الظهور لنا أن جهودنا يجب أن تتجه نحو فصل السعودية عن المصريين وأن نركز على الأقل في هذه اللحظة على أن نجعل السعودية ترى أن مصالحها تكمن معنا وليس مع المصريين أو الروس . وعلينا بالطبع أن نعقد في نفس الوقت معاهدة حماية مع الإسرائيليين ... وأنا متأكد من شيء واحد إذا ما وجدت مصر نفسها معزولة بهذا الشكل عن بقية العالم العربي وبلا حليف سوى روسيا السوفيتية فإنها سوف تشعر سريعاً بالألم من هذا التوقع وسوف تنضم إلينا في البحث عن سلام مقبول في هذه المنطقة . "

تبنَّى أيزنهاور الرأي الغربي المبسط الذي بدأ يظهر عن ناصر باعتباره متعطشاً للسلطة وإن كان شخصيّاً ضعيفاً مصاباً بجنون العظمة . " [1]

وقرر دالاس كعقاب لعبد الناصر ، الذي بدأ يستقل بقراره بعيداً عن مصلحة الولايات المتحدة أن يسحب عرض تمويل السد العالي كوسيلة ضغط على عبد الناصر لتغيير سياسته تجاه الولايات المتحدة لتعود كما كانت فعند وصول أحمد حسين (سفير مصر في الولايات المتحدة) إلى الخارجية الأمريكية يوم ١٩ يوليو ١٩٥٦ بتفويض من عبد الناصر لعرض المسألة بإعلان قبول مصر غير المشروط للشروط التي قُدِمَت في ديسمبر الماضي .. وقال : إنني شغوف جداً لأن تقوم بذلك الولايات المتحدة وبريطانيا والبنك الدولي لأن الروس يضغطون علينا وقد حصلنا على العرض الروسي في جيوبنا ، وكان هذا نوع من الابتزاز الذي قال أيزنهاور إنه لن يخضع له ، ولكن دالاس لم يتصيده حول هذه النقطة لكنه قال له : " ... إننا قد

([1]) جيفري ارونسون " العلاقات المصرية الأمريكية " مرجع سابق ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

توصلنا إلى نتيجة أننا نشعر أن المشروع ليس ملائماً في الظروف الراهنة وفي مقدمتها أننا نعتقد أنه سيكون إجهاداً كبيراً للاقتصاد المصري ". [١]

ورداً على سؤال مندوب مجلة "لوك" الأمريكية : هل تعتقدون – كما يدعى "جون بيل" فى كتابه عن "دالاس" – أن وزير الخارجية الأمريكية تعمد مواجهة الموقف في الشرق الأوسط بعمل حاسم عندما سحب عامداً عرض تمويل السد العالي؟

قال عبد الناصر: أوافق على أن هذه كانت حركة متعمدة، لقد قرأت الكتاب، ولقد تشاءمت بعدئذ من مستقبل علاقاتنا مع أمريكا. إن الكتاب يوضح أن سياسة "دالاس" إنما كانت عدائية تجاه بلادنا، لماذا تحاولون أن تفرضوا علينا ما تريدون ؟ إننا لن نقبل تلقى الأوامر من أحد، ألا تفهمون ؟!

سؤال: لقد بدأت معاملاتكم مع الكتلة السوفيتية عسكريّاً، وسياسيّاً، واقتصاديّاً، وثقافيّاً؛ بدأ هذا التعامل حقيقة مع صفقة الأسلحة عام ١٩٥٥، فلو كانت الولايات المتحدة قد باعت لكم السلاح، فماذا كان يصبح الموقف في الشرق الأوسط اليوم ؟

*الرئيس: سل "المستر دالاس"، لقد كنت أبنى قصوراً في الهواء على علاقتي بأمريكا، ولقد حاولت بكل وسيلة أن أكون صديقاً وعلى علاقة طيبة بالأمريكان بدون أن أصبح ألعوبة في أيديهم، ولكن ذلك لم يؤد إلى نتيجة، وعليه علمت الآن أنه يجب علينا الاعتماد على أنفسنا، وعلى عرقنا، وعلى جهودنا. ومن ناحيتي أقرر أنني قد استفدت كثيراً من تجارب السنوات الخمس الماضية." [٢]

وبهذا لم ينته تحالف عبد الناصر / أمريكا فحسب بل بدأت أمريكا وانجلترا ومن ورائهما أوربا الغربية في معاداة عبد الناصر وسياسته ، حتى لا تحذو أية دولة أخرى من حلفاء أمريكا من العالم الثالث حذو مصر وتخرج عليها . إن أمريكا التي كانت تعتبر نفسها الراعي الرسمي لثورة يوليو ، وكانت – في ظنها – وراء كل إنجاز حققته

([1]) نفسه ص ٢٥٩.

([2]) من حوار صحفى للرئيس جمال عبد الناصر مع مندوب مجلة "لوك" الأمريكية ١٩٥٧/٦/١٤.

الثورة لم تكن لتقبل أن يتقلص دورها ، وتقف على قدم المساواة مع السوفيت عدوها اللدود . إن أمريكا لا تقبل من عبد الناصر – الذي تعتبره حليفها الأضعف – إلا أن يكون تابعاً لها خاضعاً لسياستها ، وليس له حق المناورة بطلب المساعدة من السوفيت لإجبار أمريكا على تلبية رغباته وبزوغ نجمه كبطل قومي.

ولكن ينبغي ألا نفهم من ذلك أن الولايات المتحدة قد قررت قطع العلاقة تماماً بعبد الناصر والاستغناء النهائي عن حليف أساسي في المنطقة وتركه لكي ينحاز كلية للسوفييت ويتحول من حليف لعدو . فما دام عبد الناصر لم يمس أمن إسرائيل ولا المصالح الأمريكية : شركات البترول ، والبنوك ، وغيرها . فلا بأس من الاختلاف حول قضايا أخرى ، وتبادل لاتهامات ، والحروب الكلامية . فبعد صفقة الأسلحة الروسية ، وقصة السد العالي تراوحت العلاقة بين الولايات المتحدة وعبد الناصر بين مد وجزر ، لكن لم تُقْطع بينهما شعرة معاوية حتى اندلاع حرب يونيو ١٩٦٧ التي قطع على إثرها عبد الناصر العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة رسميّاً .

وللحقيقة فإن سياسة دالاس كانت سياسة فاشلة في التعامل مع عبد الناصر فكانت ترمي إلى فرض وصاية على القرار المصري وهذا مالا يرضاه عبد الناصر أو أي حاكم وطني فنعم للتحالف مادام يحقق المصالح الوطنية ولا للوصاية التي تتعارض مع الاستقلال الوطني .

لم يكن دالاس هو الشخص الذي يحمل نفسه على قبول السلطة المحدودة لدبلوماسية الولايات المتحدة ، خاصة في العالم غير الأوربي حيث كانت تبعية الدول الحديثة تؤخذ كأمر مسلم به ، وكان سحب عرض بناء السد والبيان الذي تلاه مُصَمَّماً كدليل على قدرة الولايات المتحدة للممارسة نفوذ متحكم على مصر / عبد الناصر ومعاقبة مصر على خطأ طُرُق عبد الناصر . ففي ديسمبر ١٩٥٥ قرر دالاس أن يعوق تحول ناصر إلى الكتلة السوفيتية بعرض من المعونة ، وبحلول شهر يوليو ١٩٥٦ كان مصمماً على أن يضع مصر على الحافة بسحب هذه المبالغ، متأكداً أن

إثبات عدم ثقة الولايات المتحدة في النظام سوف يجبر مصر بعبد الناصر وبدونه (وهو الأفضل) على إعادة تقييم سياستها الخارجية . [1]

دوافع دلاس لسحب مشروع تمويل السد العالي

علق المؤرخون على الدوافع التي حدت بدالاس لاتخاذ هذا الإجراء. إذ اتضح بعد ذلك أن اعتراف عبد الناصر بالصين الشيوعية في مايو عام ١٩٥٦ أغاظ دالاس كثيراً مما دفعه إلى سحب المعونات الأمريكية في الربيع .

هناك وجهة نظر أخرى مفادها أن دالاس كان مقتنعاً بأن الرئيس المصري كان يتفاوض مع الروس، بغية الحصول من الولايات المتحدة على عروض أفضل. ومن وجهة نظر دالاس فإن الولايات المتحدة لن تخضع لهذا الشكل من أشكال (الابتزاز) الدولي، فاختار سحب المساعدات الأمريكية. ويدعي عدد من المؤرخين بأن ما دفع دالاس إلى ذلك التصرف هو الضغوط السياسية المحلية، مدعياً أن مجلس الشيوخ قد فرض القيود على استخدام الأموال بالنسبة للسد. وفوق ذلك، فقد أشار هؤلاء المؤرخون بأن عدداً من أعضاء مجلس الشيوخ الذين يمثلون الولايات المتحدة للقطن قد وقفوا ضد مشروع كان سيمكِّن مصر في المستقبل من منافسة القطن الأمريكي في السوق العالمية وفي وقت كان هناك فائض من هذه المادة. وهناك تفسير آخر هو أن دالاس لم يصدق فعلاً بأن روسيا ستفي بوعدها الخاص بدعم مشروع ناصر للسد العالي، وأنه أراد أن يصف الروس بالمكر والخداع من خلال سحب المساعدات الخاصة بالسد العالي. ومهما يكن من أمر فإن عدداً من المعلقين على أزمة السويس قد سجلُّوا وجهة النظر القائلة بأن دالاس قد سحب الدعم لأنه لم يشعر بأن الاقتصاد المصري كان غنياً بما يكفي لتحمل العبء المالي. لقد صدَّر عبد الناصر إنتاج القطن مقابل السلاح من الكتلة السوفييتية وكان موقفا صعباً للتعامل مع شريك لا يستطيع أن يدفع ثمن السلاح نقداً. وقد أشار أحد الكتاب إلى أن دالاس قد يشترك مع

([1]) جيفري ارونسون " العلاقات المصرية الأمريكية " مرجع سابق ص ٢٥٨.

obeikandl.com

إيدن والفرنسيين بهدف تقويض قوة عبد الناصر أو دفعه إلى القيام بمغامرة حربية قبل أن يكون جيشه مستعداً للقتال. [١]

وفي اليوم التالي لإعلان دالاس سحب العرض الأمريكي لتمويل السد العالي أعلنت بريطانيا تضامنها مع الولايات المتحدة ، وسحبت هي الأخرى العرض ، ومن ثم سقط قرض البنك الدولي تلقائيّاً لارتباطه بمساهمة الدولتين ، ولم يكن الرأي العام البريطاني مؤيداً للعرض نظراً لما وصلت إليه العلاقات البريطانية المصرية ، من تدهور خطير، وتساءلت الصحافة البريطانية " كيف تذهب أموال الضرائب إلى الكولونيل ناصر ، لماذا نساعد ناصر على أن يبقى في السلطة ".

حقيقة أن بريطانيا كانت تفضل استمرار اتباع سياسة النفس الطويل ، واستخدام العرض لخدمة أغراضها ، ولكن أمام تصرفات عبد الناصر تراجعت عن هذه السياسة ورأت التعجيل بالنهاية .

صفات الزعيم الحق والدبلوماسية الناجحة

وهكذا نجح عبد الناصر في جلب العداء ليس لشخصه فحسب بل لمصر أيضاً نظراً لقلة خبرته في إدارة شئون البلاد [٢] وبدلاً من محاولة إقامة علاقات طيبة مع كافة الدول وخاصة العظمى منها ، والعمل على عدم إثارتها راح يستفزها باتخاذ قرارات من شأنها جلب المشاكل عليه وعلى مصر ، وربما كان بعض هذه القرارات صحيحاً لكن توقيتها كان غير مناسب مما أدى إلى نتائج عكسية .

يُعرِّف الباحثون في العلوم السياسية " الدبلوماسية " بأنها " العقل الذي يمثل قوة الوطن في صلاته بالعالم الخارجي لأنها تجمع بين جنباتها العوامل المختلفة التي تمثل قوة الدولة ، وتحاول استغلال هذه العوامل بمهارة في دعم سلامة الدولة

([1]) توماس .أ . بريسون " العَلاقات الدبلوماسية الأمريكية مع الشرق الأوسط من ١٧٨٤ إلى ١٩٧٥ " ترجمة دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ص ١٧٨ .

([2]) أ.د. رءوف عباس حامد موسوعة " ناصر " شركة الأفق للبرمجيات التفاعلية.

obeikandl.com

والمحافظة على كيانها ، وذلك بكسب الأصدقاء ، وشل إرادة الأعداء وتفتيتها . ويصل التوفيق الدبلوماسي إلى الذروة عندما ينجح في تحويل الأعداء إلى أصدقاء ، أو على أقل تقدير إلى محايدين ". [١]

وقد لوحظ أن من بين مواهب العبقرية ذات الزعامة السياسية قدرتها على التمييز بين الصعب والمستحيل ، وأنها منذ نهضت بمسئولية الحكم ترتبت عليها تبعات أعظم وأفدح تفرض عليها دراسة الصعب والمستحيل والممكن ، فإذا استشرقت أن الأهداف والمبادئ التي دعت إليها وتعلق الشعب بها قد تؤدي إذا أنجزتها أو أخذت في إنجازها إلى تكتل القوى المعادية ضدها في ظروف غير ملائمة لها كان واجبها يحتم عليها التخلي عن هذه الأهداف وأرجائها إلى فرصة مواتية ، وهذا من أجل أمارات الفطنة السياسية والقدرة الفائقة على ضبط النفس وامتلاك المشاعر وعدم الاندفاع في تيار الاعتبارات العاطفية التي ترضى الرأي العام ولكنها تعود بالوبال والشر على الدولة وعلى الأمة فيما بعد ، كما يتعين عليها أن تدرك الفارق بين الكبير بين المبادئ التي تنادي بها خارج الحكم وبين مسئولياتها حين تمارس الحكم . [٢]

الزعيم هو الذي يحفظ دولته من التورط في الأخطاء السياسية أو الاجتماعية، أو المالية ، كما يعمل الزعيم على تجنيب دولته شر الأحداث ومقاتل النكبات ، والعمل على الارتقاء بها وإلحاقها بالدول المتقدمة المزدهرة .[٣]

وبدلاً من تدبر عبد الناصر أمر سحب أمريكا وانجلترا تمويل السد العالي ، ومحاولة تفهم الدوافع التي دفعتهم للقيام بهذا الأجراء ، والعمل على إزالتها ، أو التخفيف من حدتها والاستفادة من عرض شيبولون وزير خارجية الاتحاد السوفييتي باستعداد روسيا لتنفيذ السد العالي دون الدخول في عداء مع الغرب غلَّب عبد الناصر العامل الشخصي على مصلحة الأمة فأقدم على مغامرة غير محسوبة وهي قراره بتأميم قناة السويس !!

([1]) د. محمد توفيق رمزي " علم السياسة أو مقدمة في أصول الحكم " مكتبة النهضة الحديثة ص ١٧٢ .
([2]) محمد علي الغتيت " العبقرية والزعامة السياسية " مكتبة دار الشعب ص ٢٣٥.
([3]) محمد علي الغتيت " العبقرية والزعامة السياسية " مرجع سابق ص ١٩٩.

أحس عبد الناصر بالإهانة الشديدة، ليس بسبب سحب العرض، بل من اللهجة المهينة للبيان الأمريكي. وبعد يومين، قرر جمال عبد الناصر أن يقوم بتأميم قناة السويس. [١]

وكفاءة الزعيم السياسي الحق لا تتضح تمام الوضوح إلا إذا حددت المعيار السليم لقوة ضبط النفس في تطبيق المبادئ والأهداف والمثل والحرص على تحقيق الأهداف، وأن التقيد بالمثل يعني ضمان عدم تأثر المبادئ والأهداف بشخص الزعيم ذاته .[٢]

يقول توفيق الحكيم : " من يدرس بعناية الأحداث السياسية والعسكرية والاجتماعية التي وقعت في مصر على مدى حكم عبد الناصر ، يجد أن المُحرِّك الخفي الحقيقي لها كان هو " الانفعال ورد الفعل " وليس التفكير الهادئ . الرصين الرزين المبني على بعد النظر . عبد الناصر لم يكن رجلاً سياسياً ولم تكن له طبيعة رجل السياسة، والتي يملكها رجال اتصل بهم وعرفهم ، مثل نهرو ، وتيتو ، ولكنه كان أقرب إلى طبيعة الكاتب الفنان الحالم العاطفي . [٣] وكان أن قال وزير خارجية الولايات المتحدة مستر دالاس ذلك القول الذي أغضب عبد الناصر ؛ فكان رد الفعل الانفعالي المعتاد وصدر تأميم القناة مع دفع التعويضات في وقت لم يبق فيه سوى أقل من عشرة أعوام لانتهاء امتياز هذه القناة ، وعودتها قانوناً إلى ملكية مصر بدون دفع أي شيء " [٤]

كيف اتخذ عبد الناصر قرار تأميم قناة السويس ؟

في الساعة السادسة من مساء الخميس ١٩ يوليو ١٩٥٦ سحبت أمريكا عرضها للإسهام في تمويل السد العالي ، ولم يطَّلع عبد الناصر على النص الكامل لبيان وزارة الخارجية الأمريكية إلا في استراحة مطار القاهرة حوالي الثالثة من صباح الجمعة ٢٠

([1]) أد. رءوف عباس حامد " ناصر " مرجع سابق .
([2]) محمد علي الغتيت " العبقرية والزعامة السياسية " مرجع سابق ص ٢٤٦.
([3]) توفيق الحكيم " عودة الوعي " دار الشروق الطبعة الثانية ص ٣٩ .
([4]) توفيق الحكيم " عودة الوعي " دار الشروق الطبعة الثانية ص ٥٢ .

obeikandl.com

يوليو [1] " وأصرَّ عبد الناصر على أن يسير برنامج " نهرو " في القاهرة كما كان مرسوماً له من لقاءات بينهما يوم الجمعة ، وقال لـ " نهرو " إن يوم الجمعة هو يوم أجازة رسمية ، ويسعدني أن أقضيه معك ، وفي يوم السبت سوف أتركك تتصرف كما تشاء .

يقول هيكل : " وعلى الغداء في السفارة الهندية كان الحديث مركزاً على نقطة واحدة وهي اللهجة المهينة التي صيغ بها التراجع الأمريكي عن المساهمة في تمويل السد العالي كان اتفاق الرجلين على أن هذه اللهجة هي بداية سياسة وليست نهاية سياسة.

وأثناء خروجه من السفارة الهندية التفت إليَّ (أي إلى هيكل) الرئيس جمال عبد الناصر وقال : "سوف يكون على كل واحد منكم أن يفكر في الخطوة التالية" ثم طلب مني أن أتصل به تليفونيّاً صباح الغد الباكر .

وفي الساعة التاسعة والربع من صباح اليوم التالي (السبت ٢١ يوليو) اتصلت بالرئيس عبد الناصر تليفونيّاً في بيته واقترحت عليه رأيّاً فكرت فيه ، وفي الحقيقة فإنه كان هو صاحبه الأصلي وكان دوري الآن أن أذكِّره به .

قلت للرئيس عبد الناصر في التليفون : "إنني فكَّرت طول الليل في رد مناسب على الطريقة التي انسحبت بها أمريكا من المساهمة في تمويل مشروع السد العالي ثم استطردت فسألته : " إذا كان يذكر تعليقه على ما سمعه من وزير الخارجية البريطاني " سلوين لويد " عندما التقى به في شهر مارس وهو أن قناة السويس جزء من مجمع

([1]) يقول هيكل " وصلت طائرة جمال عبد الناصر " إلى مطار القاهرة في الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وكانت قيادة الدولة كلها في انتظاره ، وكذلك السفراء وبينهم السفير الأمريكي " هنري بايرود " وراح جمال عبد الناصر وضيفه رئيس وزراء الهند (نهرو) يصافحان المستقبلين ، وحين وصل جمال عبد الناصر إلى الموقع الذي فيه بايرود لم يكن لدى بايرود تعليق سوى قوله : " سيدي الرئيس : إنني حزين جداً " ولم يعلق جمال عبد الناصر وفي استراحة المطار اطلع جمال عبد الناصر لأول مرة على النص الكامل لبيان وزارة الخارجية الأمريكية " ملفات السويس دار الشروق ص ٥٢١ . الطائرة إذن وصلت في الساعة الثانية ولنفترض أن مراسم استقبال ومصافحة المستقبلين ، وحتى اطلاع عبد الناصر على البيان قد استغرق كل هذا ساعة من الزمن فإن عبد الناصر يكون قد اطلع على البيان حوالي الثالثة من صباح الجمعة ٢٠ يوليو .

البترول في الشرق الأوسط ؟ " ثم سألته : " تتذكر تعليقك عليه وأنك قلت إن شركات البترول تدفع لأصحابه الأصليين حصة من عوائد تصل إلى ٥٠ % من الدخل في حين أن مصر وهي صاحبة القناة الأصلية لا تحصل على شيء تقريباً من دخلها ، فماذا لو " وقاطعني جمال عبد الناصر قبل أن أكمل عبارتي قائلاً :"لا تزد حرفاً وتعال لمقابلتي".

وعندما ذهبت لمقابلته كان واضحاً لي أنني اقتربت إلى حد كبير مما كان يفكر فيه فقد كان تعليقه الذي بادرني به هو قوله : " لماذا خمسين في المائة من دخل القناة ؟ ولماذا لا تكون مائة في المائة ؟ "

وسألته عما يعنيه ، وكان رده : " إن ما يعنيه واضح وهو تأميم شركة قناة السويس فذلك هو الرد الوحيد المناسب والممكن والذي يتيح لنا بناء السد العالي بدخل مواردنا المنهوبة " وسألته مُسْتَهْوِلاً ما تشير إليه عبارته : " وهل هذا ممكن؟ " وأجاب : " أعرف أنها ستكون معركة خطيرة وقد فكَّرت في احتمالاتها طوال الليل وهذا الصباح، وأجريت حساباتي وأظن أن فرص النجاح أمامنا عالية " وجلست أكثر من ساعة أستمع إليه " [١]

هذا هو النص الكامل كما رواه هيكل عن كيفية اتخاذ عبد الناصر قرار التأميم الذي يظهر فيه أن زمن اتخاذ أخطر قرار في تاريخ مصر الحديث هو ٣٠ ساعة فقط حيث إن عبد الناصر قد أُخْبِر بالتراجع الأمريكي عن المساهمة في تمويل السد العالي في الساعة الثالثة من صباح الجمعة ٢٠ يوليو ، وأخبر هيكل بنيته في تأميم القناة في الساعة التاسعة من صباح السبت ٢١ يوليو .

ولم تكن هذه الساعات الثلاثين كلها للتفكير في التأميم فقد أمضى معظمها مع " نهرو" الرئيس الضيف " إن يوم الجمعة هو يوم أجازة رسمية ، ويسعدني أن أقضيه

([1]) محمد حسنين هيكل " ملفات السويس " دار الشروق ص ٥٢٢ ، ٥٢٣ .

معك " فإذا خصمنا منها ما قضاه مع نهرو وساعات النوم والراحة، وصلاة الجمعة فماذا تبقى من وقت لاتخاذ هذا القرار الخطير !!

وهكذا فإن عبد الناصر قد اتخذ قرار التأميم في سويعات قليلة والأيام القليلة التالية أنفق بعضها في البحث عن كيفية تنفيذ هذا القرار ، ولا نقول إنه اتخذه في لحظة واحدة هي التي ذكَّرَه هيكل فيها برأيه في الموضوع .

خطاب التأميم

استعرض جمال عبد الناصر أسباب تأميم قناة السويس في خطابه الشهير في الإسكندرية في عيد الثورة الرابع بتاريخ ١٩٥٦/٧/٢٦ .

جاء في هذا الخطاب:

١- اعتراف عبد الناصر بقرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين .

٢- رفض عبد الناصر لسياسة الأحلاف الأمريكية الإنجليزية .

٣- رفض عبد الناصر توقيع ميثاق أمن متبادل كشرط لتسليح أمريكا مصرَ .

٤- اعتراف عبد الناصر بأنه يحكم بطريقة عسكرية لا بطريقة سياسية .

٥- اعتراف عبد الناصر بأن الشعب المصري شعب عاطفي .

٦- الإعلان عن عرض روسيا التعاون مع مصر في جميع الميادين دون قيد أو شرط، ودون رغبة في إفساد العلاقة بين العرب والغرب .

٧- قرار عبد الناصر تأميم القناة ، واستعادة حقوق مصر فيها .

٨- الجزء الأخير من خطاب عبد الناصر وجهه إلى الأمريكان والإنجليز رافضاً معوناتهم ومنددا بمؤامراتهم ضد مصر ومعلناً التصدي لهم وليموتوا بغيظهم .

قرار التأميم في ميزان العلوم السياسية

والحقيقة أن فكرة تأميم شركة قناة السويس كان عملاً فرديّاً محضاً هو عمل عبد الناصر وحده ، دون شريك من حكومة أو غيرها ، وهو ما ليس له مثيل في أي نظام

سياسي محترم خصوصاً في قرارات خطيرة يمكن أن تُعرِّض مستقبل البلاد للخطر مثل تأميم شركة قناة السويس ، فقد ألغى عبد الناصر الحكومة المصرية من حسابه تماماً ، ولم يستدع وزيراً للمشاورة معه في فكرة التأميم كأي حاكم سياسي حكيم يعود إلى وزرائه ومستشاريه في اتخاذ القرارات المهمة ثم يعرض القرار على البرلمان لإبداء الرأي فيه فإن وافق صدر وإلا عدل أو ألغي هذا هو النظام الديمقراطي المتعارف عليه في البلاد الديمقراطية .

والزعيم السياسي هو الذي لا يبني معارفه على الرجم بالغيب أو الاستعانة بالفراسة بل يخضع لقوانين معروفة ومدروسة ومسلَّم بها في الدراسات التاريخية ، ولكي يحقق ذلك عليه أن يضع الشخص المناسب في المكان المناسب ويهيئ له الظروف ليتخذ القرار الواجب في اللحظة المناسبة . [1]

وعبد الناصر اعترف في خطابه وأكَّد على أنه لم يتلق دروساً سياسية ، ولا يتصرَّف وفق قواعد السياسيين المحترفين إنما يتصرَّف بمنطق العسكري الثائر .

كما أن عبد الناصر لم يتَّخذ قرار التأميم لتحقيق مصلحة وطنية إنما اتخذه ثأراً من قرار أمريكا الذي اعتبره إهانة لكرامته الشخصية، والسياسي الحق يضحي بنفسه في سبيل مصلحة وطنه ولا يضحي بوطنه في سبيل ما يعده إهانة لشخصه !

ولا ريب في أن عظمة أي زعيم سياسي تقاس بمدى حرصه الدائم على عدم تركيز الأهداف والمثل العليا في شخصه بل في كل أفراد يخضعون للدستور الذي ينظم حياة البلاد فمن الخطر على شخص الزعيم أن يركز المبادئ والأهداف ومصير الوطن في شخصه بالذات لأن هذا الارتباط يُعرِّض المبادئ والأهداف لعدم الاستقرار بل يعرضها للتغيير والتبديل ، وكلاهما يتهاوى أمام الأعراض والأحداث والعواصف .

والزعماء العباقرة الذين تولوا قيادة أممهم من نصر إلى نصر ، ومن مجد إلى مجد، لم يتطرَّق القلق إلى نفوسهم ، ولم يعرفوا الاندفاع والتهور والغضب في اتخاذ القرارات

([1]) محمد علي الغتيت " العبقرية والزعامة السياسية " مرجع سابق ص ١٩٨، ١٩٩ .

التاريخية التي خلدتهم ولم تغش على قلوبهم الوضاءة أمراض العواطف الذاتية أو حب الذات ، أو التأثر بالقرابات أو الصداقات على حساب الوطن الذي لا يتسامح في حقوقه ، وواجباته ولا يرضى بأمجاده بديلاً .

وهناك زعامات تألَّقت وطار صيتها بما أدَّته من أعمال باهرة ، ثم ما لبثت أن انطوت وانطلقت تتأثر بالعواطف وتندفع بغضب في اتخاذ القرارات حتى عبثت بمقدرات أمتها وصارت كريشة في مهب الرياح يلعب بها القدر ، ثم فقدت إرادتها الصلبة وثباتها في المواقف التي تقتضي الثبات والإصرار ، ولاشك أن العناد من عوامل الضعف التي تصيب العبقرية أحياناً وتصيب بالتالي الأهداف والمثل التي كانت ترسمها . [١]

والحقيقة أن حكومة مصر لم تعرف بقرار التأميم إلا قبل إعلان عبد الناصر عنه في خطبته بالإسكندرية بساعتين فقط ولم يكن اجتماعاً للحكومة كلها وإنما كان اجتماعاً محدوداً كما أنه لم يكن اجتماعاً لأخذ الرأي وإنما للإحاطة ! فقد قال عبد الناصر في اقتضاب : " إنني أبلغكم بقرار سوف أعلنه في خطابي الليلة ، هذا القرار هو تأميم قناة السويس " [٢] .

أما الجيش فقد أُخْفِي عنه الخبر أيضاً فقد كان عبد الناصر يعرف اعتراض عبد الحكيم عامر على فكرة التأميم وعلى حد قول عبد اللطيف البغدادي فإن عبد الناصر قد اتصل بعبد الحكيم عامر الذي كان بالإسكندرية ، وأبلغه "بالاتجاه" إلى تأميم القناة، ولكن عبد الحكيم عامر كان يرى العمل بالضغط على الشركة حتى تزيد من نسبة حصة مصر من دخلها السنوي . لذلك أبقى عبد الناصر خبر قراره بتأميم القناة خافياً على عبد الحكيم عامر حتى اللحظة الأخيرة فقد أبلغه عبد الناصر به وهما في طريقهما إلى الإسكندرية بالقطار لكي يلقي عبد الناصر خطبة التأميم ويروي صلاح

([1]) محمد علي الغتيت " العبقرية والزعامة السياسية " مرجع سابق ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(2) د. عبد العظيم رمضان "الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة السويس" الهيئة المصرية العامة للكتاب ص٢٢.

obeikandl.com

نصر أن المشير عامر قال لعبد الناصر أنه ينبغي عليه أن يبلغه أولاً قبل اتخاذ هذا القرار السياسي ، لأنه قائد عام القوات المسلحة " وينبغي أن تستشيرني لتعرف ما إذا كانت القوات المسلحة قادرة على حماية هذا القرار " وقد ثبت فيما بعد أن القوات المسلحة المصرية لم تكن قادرة على حماية القرار .[١]

بل من الغريب أن المهندس محمود يونس الذي كلَّفه عبد الناصر بمسئولية الاستيلاء على شركة القناة والعمل على إدارتها بعد إعلان قرار التأميم ، لم يعرف بقرار عبد الناصر إلا يوم ٢٤ يوليو ١٩٥٦ أي قبل إعلان عبد الناصر قراره بيومين فقط، ولولا كفاءة محمود يونس وزملائه لما أمكن لهم أداء ذلك العمل الهائل في يومين.

وقد اختار عبد الناصر أن يعلن القرار في شكل تحدٍ للغرب، وليس أنه حق من حقوق مصر المطلقة، فأتاح بذلك للغرب الرد عليه بالطريقة التي يملكها وهي الحرب.

ليست الزعامة هي تحطيم العوائق التي تعترض بلوغ الهدف ، بل هي الوصول إلى الهدف باجتياز العوائق بذكاء وإعمال فكرة وخبرة لم تسبق ، وهذا ما جعل صفة الصبر والقدرة على تحين الظروف وترقب أنسب الفرص ليست في الشجاعة والإقدام المجردين بل هي فيما يؤدي إليه العمل من نتائج ضخمة ، وفي ملاءمة موقفها مع ما تمليه مصلحة الأمة الحاضرة والمستقبلة من سرعة واحتياط ، وبعد نظر بشرط ألا تتنافى مع الملاءمة المنشودة مع العقيدة والمبادئ التي تتبع منهما كل مقومات الدولة.

ومن أمارات العبقرية السياسية تقديم الأهم على المهم ، والربط بين كل العناصر والأركان التي تشكل سياسة الدولة برباط يؤدي إلى الإيجابية والتطور الطبيعي الدائم.[٢]

وكان فتحي رضوان ، ورغم أنه من غلاة الحزب الوطني القديم الداعين إلى التأميم هو الذي نبَّه إلى أن تأميم القناة يجب أن يأخذ شكل الرغبة في استرداد حقوق مصر

---

(1) نفسه ص ٢٣ .

(2) محمد علي الغتيت " العبقرية والزعامة السياسية " مرجع سابق ص ٢٦٢.

لا في شكل تحدٍ للغرب فعندما سمع فتحي رضوان عبد الناصر يبلغ الوزراء بهذا القرار الخطير _ قبيل الإعلان بسويعات قليلة – قال لعبد الناصر : " أنا فاهم من كلام سيادتك لنا أنك تنوي أن تقول إنك أممت قناة السويس ردّاً على كلام دالاس وإهانته لنا، واعتدائه على سمعة اقتصادنا فَتَجَهَّم عبد الناصر وقال مندهشاً : إذن ماذا تريدني أن أقول ؟ فقلت مُنْدفِعاً : كل شيء دون أن تربط تأميم القناة بسحب الغرب تمويله لمشروع السد العالي .

لكن عبد الناصر ضاق بهذا الكلام وقال : غريبة وماذا في هذا ؟ فقلت له إن ربط الأمرين معاً – وإن كانا في الواقع متصلين – له معنيان وكلاهما سيء فإعلاننا بأننا أممنا شركة قناة السويس لأن دول الغرب سحبت تمويلها للسد العالي ، فيه إضعاف لحقنا في التأميم فقناة السويس مرفق مصري ، وعلى ذلك فحقنا في تأميم الشركة وإخضاع المرفق للإدارة المصرية المباشر إنما هي من حقوقنا المطلقة ، أما تصريحنا أننا نتخذ من قناة السويس ردّاً على أمريكا وانجلترا وفرنسا ، فمعناه أننا نتَّخذ من قناة السويس التي تخدم الملاحة والتجارة الدولية ، وسيلة لعقاب وتأديب الدول التي نختلف معها! وهذا يتيح لدول الأعداء أن يتخذوا من هذا الإعلان مادة للتشهير بنا ، وتخويف العالم من إدارتنا لقناة السويس التي تتأثر بنوازعنا ، وربما بنزواتنا القومية.

وإلى هنا كان صبر عبد الناصر قد نفد ! وخُيِّل إليه أنني أريد أن أملي عليه اتجاهاً معيناً فقام وهو يلوح بذراعيه مسرعاً تجاه دورة المياه وهو يقول : " أنا عارف ماذا سأقول . وخرج مبتهجاً واثقاً من نفسه سعيداً بأنه سيطلع على العالم بما سيهزه، وبما سيجعل اسمه على كل لسان، في الشرق، والغرب على السواء " [1] .

يقول حسين الشافعي في إجابته عن سؤال مذيع الجزيرة أحمد منصور عن نتائج قرار جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس ردّاً على سحب أمريكا تمويلها للسد العالي :

" النتائج أنك حققت كرامة للبلد ، أنها لا تُضْرَب على قفاها، وواحد يقول بيانات على أن مصر لا تستطيع أن تسدد نفقات بناء السد العالي لماذا ؟

([1]) فتحي رضوان " ٧٢ شهراً مع عبد الناصر " مرجع سابق ص ٧٧ ، ٧٨ .

إذن سوف نأخذ قناة السويس ، وبدخلها ، ومدخراتنا ، وبالتعاون مع أي طرف آخر بنينا السد العالي ، وهذا كان علامة انتصار للكرامة، وانتصارًا لشرف الأمة ، وهو أكبر من أي بناء آخر ، هناك أناس يتحدثون عن أمور أخرى ، وينسون هذه النقطة، شرف الأمة فوق كل اعتبار، ولو مات نصف الشعب، لكن شرفه لا يمس ولا يهان"[١]

هكذا يُفكِّر عبد الناصر ومن أبقاهم معه من رجال الثورة أن يتخذ قراراً خطيراً من أجل كرامة شخصية ولو أدَّي هذا القرار إلى موت نصف الشعب ، ولماذا لم يتم قتال اليهود الصهاينة الذين يحتلُّون لفلسطين والذين هاجموا قطاع غزة مرات عديدة وقتلوا نحو ١٥٠ مصرياً عام ١٩٥٥ من منطلق هذا المبدأ ولن يكلفنا هذا موت حتى ربع الشعب المصري؟!! أم أن سحب قرار تمويل السد العالي كان أكثر إهانة من الاعتداء على غزة التي كانت تحت الإشراف المصري وقتل الصهاينة فيها نحو ١٥٠ مصرياً!!

وخطورة الانحراف تتجلَّى حين يصور خيال الزعيم مختلف القضايا في صورة شخصية لا صلة لها بصورة الأمة التي تعيش فيها وترتبط بها ، وحين يسول له خياله أنه العبقرية الوحيدة التي تدرك حاجات الأمة وأنها هي الشخصية القادرة على التعبير عن عواطفها ومشاعرها حين يصور له خياله أن الأمة عاجزة عن إدراك حقيقة الأهداف التي تهيؤها له الوسائل التي تملكها أو يصور له هذا الخيال السقيم أن الأمة عاجزة عن مواجهة الحقائق ومعالجة الكوارث التي أصابتها ، ذلك لأن هذا الخيال يحمل الزعيم على أن تصطبغ أعماله بطابع الفردية ، زاعماً بذلك أنه أكثر إدراكاً من جميع طبقات الأمة تقديراً وفهماً لوسائل النهوض بها ، وأنه حين يقدم على ما يتخذه من إجراءات في هذا الصدد إنما يعبر عن إرادة الأمة لا عن إرادته هو مع ما ترتب على اعتناق هذه العقيدة التي صورها الخيال المهزوز من نتائج في علاقة الزعيم بالأمة وفي نظرته لمصائرها.[٢]

([1]) حسين الشافعي برنامج " شاهد على العصر" أذيع بتاريخ ١٩٩٩/١١/٦ الجزيرة نت .
([2]) محمد علي الغتيت " العبقرية والزعامة السياسية " مرجع سابق ص ٢١٠.

وفي يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ أعلن جمال عبدا الناصر نبأ التأميم أمام جمهور يقدر مجموعه بأكثر من ١٠٠ ألف نسمة احتشد في الإسكندرية فهاج المكان وماج ، وفي تلك الليلة وقف عبد الناصر يتكلم ساعتين ونصف الساعة أمام مكبرات الصوت والعرق ينضح منه وهو يمسك الميكروفون بكلتا يديه .

فاستعرض السياسة الخارجية لمصر منذ أن قامت حكومة الثورة وهتف من أعماق القلب في الجماهير المتجاوبة معه بأن مصر ستحصِّل رسوم المرور لتقيم سد أسوان ووجه كلامه إلى الأمريكيين قائلاً: " أيها الأمريكيون: موتوا بغيظكم .. إن الدخل السنوي لشركة قناة السويس يبلغ ١٠٠ مليون دولار فلماذا لا نأخذه لأنفسنا، إننا سنبني السد العالي كما نشاء، وستؤمم القناة وسيديرها مصريون." [١]

وكهربت هذه الكلمات الجماهير بنشوة العزة والقومية فترنحت طرباً وهي تهتف من أعماق القلوب ، واهتزت الأرض من التصفيق . وقد وصف مراقب أجنبي خطاب عبد الناصر بقوله " كان عبد الناصر كساحر ماهر أخرج من بطن الأرض كتائب البغضاء والغضب ..عبر آسيا وأفريقيا وكهرب كلامه مئات الملايين هناك وأحدث تأثيراً عالميّاً". [٢]

وهذا الخطاب الحماسي العنتري الأجوف جعل بريطانيا وفرنسا تستشيطان غضباً، ووقف إيدن ليعلن أن عبد الناصر يتبع سياسات فاشية، وأن العالم كله يتذكر جيداً عواقب مهادنة الفاشيين، في إشارة للحرب العالمية الثانية .

وأرسلت كل من بريطانيا وفرنسا مذكرة شديدة اللهجة لمصر، ورفضت الحكومة المصرية تسلم المذكرتين. وقد احتجت بريطانيا في مذكرتها على العمل التعسفي لانتهاك حرية الملاحة، وهي تحتفظ بحقوقها وحقوق رعاياها وأن مصر تتحمل المسئولية عن هذا العمل .

([1]) من " خطاب تأميم قناة السويس " ٢٦ / ٧ / ١٩٥٦.

([2]) بول جونسون " حرب السويس " مرجع سابق ص ٢١ ، ٢٢ .

obeikandl.com

وقد أعلن عبد الناصر أن مسئولية جميع ما يحدث تقع على عاتق الدولتين وأن العدوان يقابله عدوان ، ثم أعلنت بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة عن تجميد الأرصدة المصرية لديها. ثم أعقب ذلك انسحاب المرشدين الفرنسيين والبريطانيين من العمل. [١]

هذا هو الفرق بين القرار السياسي والخطاب العنتري الأجوف ، القرار السياسي قرار مبني على دراسة أهل التخصص ، والأخذ في الاعتبار جميع الاحتمالات ، والإعداد لكل شيء عدته ، كما أنه يسعى إلى الوصول إلى ما يريد دون أن يستفز المضارين من هذا القرار ، بل يعمل على إقناعهم بشرعية قراره ، كل هذا من أجل مصلحة الأمة . أما الخطاب العنتري فهو قرار فردي مستبد ، يشتمل على مغامرة غير محسوبة الجوانب، وغير مأمونة العواقب ، كما يحاول أن يُهِين أعداءه ويستفز حميتهم. كل هذا من أجل دغدغة مشاعر الجماهير، واللعب بعواطفهم.

وعلى هذا النحو كان قرار تأميم شركة قناة السويس عملاً فرديّاً بحتاً اتخذه رئيس الدولة على مسئوليته الخاصة دون علم حكومته ، ودون أن يعلم به قائد عام الجيش ودون أن يعلم به المنفِّذون إلا قبل يومين فقط ، ودون استعداد عسكري لمواجهة أي عدوان على الأراضي فصفقة الأسلحة التشيكية ، لم يكن قد مر عليها عام ولم يكن الجيش قد استخدمها ولا تتدرب عليها ، كما كان معظم الطيارين وأطقم الدبابات ما يزالون في الاتحاد السوفيتي يتدربون على استخدامها في مدارس التدريب !

فقد كان تقدير عبد الناصر للموقف عند إعلانه قرار تأميم شركة قناة السويس يستبعد تماماً استخدام الغرب للقوة معه وشنه حرباً على مصر ! مع أن كثيراً ممن علم بنيَّة التأميم حذَّره من شن الغرب حرباً عليه فرفعت الجمال الجاسوس المصري الشهير بـ (رأفت الهجان) يقول في مذكراته : " اكتشفت أن إسرائيل تخطط لعملية عسكرية خاصة بشبه جزيرة سيناء أعطتها الاسم الشفري "قادش" بهدف تدمير ،

([1]) أد. رءوف عباس حامد " ناصر " مرجع سابق .

وإضعاف القوة العسكرية المصرية قدر المستطاع وفي هذه الأثناء كانت مصر تتفاوض مع سوريا والأردن وفي اللحظة التي عرفتُ فيها أمر الهجوم رتبتُ أموري لمغادرة إسرائيل ، وإبلاغ رئيسي أن إسرائيل تخطط فعلاً لتوجيه ضربة إلى مصر ، وبعد مناقشات طويلة أخذ كلامي مأخذاً جاداً ، قال إنه سيسافر إلى القاهرة فوراً ويبلغهم بمعلوماتي التي توصلت إليها .

عدت إلى إسرائيل وعرفت أنباء الحرب هناك ،ولست أدري لماذا لم تأخذ مصر تحذيري بصورة جدية ،لابد وأنهم لم يصدقوني ووقع المقدور وأحسست بالصدمة . لماذا صمُّوا آذانهم عن كلامي ؟!

كان عبد الناصر يستطيع على الأقل أن يرد الرد المناسب في وقت مبكر، ومع ذلك، وكما يقول التاريخ فقد حوَّل الهزيمة العسكرية إلى نصر سياسي." [١]

وثروت عكاشة الذي كان ملحقاً حربيّاً في فرنسا آنذاك يقول في مذكراته : " كم أرسلت إلى القاهرة برقيات شفوية ورسائل خاصة بهذا الموضوع منها ما هو إلى عبد الناصر خاصة ومنها ما هو إلى المخابرات الحربية المصرية ، وكان هذا بدءاً بالأيام الأولى من شهر يناير ١٩٥٦ ، وحَمَلَتْ هذه الرسائل والبرقيات ما يشير قطعاً إلى أن السياسيين والعسكريين من الفرنسيين باتوا مؤمنين الإيمان كله بأنه لا بد من ضرب مصر عسكرياً ، كما باتوا يؤمنون بأنه لا بد من تحريض إسرائيل على شنِّ هجوم على مصر ، وأخذوا بالفعل يمدونهم بما هم في حاجة إليه من سلاح لازم لهذا الهجوم إمداداً يفوق الوصف ، وزاد هذا الإمداد بعد تأميم القناة .. كم بعثت إلى القاهرة بتفاصيل تحركات ومواقع حشد التشكيلات الحربية الفرنسية برية ، وجوية ، وبحرية استعداداً للهجوم يوماً بيوم منذ شهر أغسطس ١٩٥٦ .. وما كان من أنباء عن الاجتماعات المُريبة بين السلطات الفرنسية والإسرائيلية التي يحيكون فيها مكيدة تهيئ لعدوان ضد مصر على صورة ما ، وكان آخر ما أرسلت إلى عبد الناصر خطة

([1]) رفعت الجمال " ١٨ عاما خداعا لإسرائيل " مركز الأهرام للترجمة والنشر ص ١٢٤ ، ١٢٥.

العدوان الثلاثي كاملة كما انتهت إليَّ في ٢٧ أكتوبر ١٩٥٦ ، هذا إلى جانب تقارير أخرى من الملحقين الحربيين المصريين في شتَّى أنحاء أوربا تضمَّها ملفَّات المخابرات الحربية التي تزخر بالكثير " [١]

والأستاذ محمد على الغتيت يقول : " وبحكم دراساتي وما أفدته من تجارب نبهت – عندما طُلِب مني إعداد قانون تأميم قناة السويس – إلى أن هذا التأميم معناه الحرب وسوف تقع المعارك على المدى الطويل ، ويجب أن نتوقع المعركة الأولى فور إعلان التأميم . " [٢]

أما عبد الناصر فقد اعتمد على فراسته التي لا تخطئ أبداً ! واستبعد قيام فرنسا بشن حرب ضده تحت وهم انشغالها بمعركتها في الجزائر ، واستبعد قيام انجلترا بحرب ضد مصر ، متصوراً أن حرصها على مصالحها في العالم العربي سوف يمنعها من القيام بأي اعتداء ، أما الولايات المتحدة فقد رأى أنه ليست لها مصلحة في قيام مثل هذه الحرب . أما إسرائيل فقد استبعد اشتراكها في عملية عسكرية ضد مصر أيضاً ! والطريف أنه اعتمد في هذا الاعتقاد على أن انجلترا هي التي سوف تمنعها من العدوان !

وهذا يدل على مدى سوء تقدير عبد الناصر لردود أفعال الغرب وإسرائيل لقرار تأميم قناة السويس ، فلم يصدق اشتراك إسرائيل إلا بعد أن أصبحت قواتها في قلب سيناء ! ولم يصدق اشتراك انجلترا إلا بعد أن أصبح سلاح طيرانها فوق القاهرة ، ولم يصدق اشتراك فرنسا إلا بعد أن أصبحت طائرات الميستير الفرنسية فوق سيناء. [٣]

يقول توفيق الحكيم : " لا أنس خطبة الجمعة المشهورة التي أعلن فيها عبد الناصر أنه لم يكن يظن أن بريطانيا ستشترك حقاً في العدوان على مصر مع إسرائيل لأن

([1]) ثروت عكاشة " مذكراتي في السياسة والثقافة " دار الشروق الجزء الأول ص ١٩٠ ، ١٩١ .
([2]) محمد على الغتيت " العبقرية والزعامة السياسية " مرجع سابق ص ٧.
([3]) د. عبد العظيم رمضان " الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة السويس " ص ٢٨– ٣٠.

ذلك في نظره يعرضها لغضب العرب ، وأنه لم يعرف باشتراكها إلا عند سماعه أزيز الطائرات البريطانية ، فصعد إلى سطح منزله ليتأكد من ذلك بنفسه . قلت في نفسي : صح النوم .. كيف كان رئيس دولتنا يجهل هذا الأمر ، وأنا الذي ما ارتبت لحظة في أن بريطانيا جادة في الحرب منذ قرأت وسمعت البرقيات والإذاعات تتحدث عن اجتماعات إيدن بقواده ، وإصدار الأوامر إلى السفن الحربية في مالطة والقاعدة الجوية في قبرص بالاستعداد ، بل إن بعض السفن قد أعدت فعلاً وتحركت بالجنود في اتجاه الشرق الأوسط لعل عبد الناصر قد فهم أن هذا كله من قبيل التهويش ! "[1]

نعم كان عبد الناصر يستبعد تماماً دخول انجلترا الحرب بجانب إسرائيل حتى ارتقى سطح بيته ورأى الطائرات الإنجليزية بنفسه . وكأننا في مشاجرة بين أبناء حي شعبي لا نعلم بها إلا عندما نسمع ضجيجها فنسارع ناظرين من شرفاتنا ، أو نهرول صاعدين إلى أسطح منازلنا حتى نعرف حقيقة ما يجري !!

يقول عبد الناصر : " في السابعة مساءً كنت في بيتي أقابل السفير الإندونيسي، وسمعت صوت صفارات الإنذار، ثم سمعت مباشرة أزيز الطائرات المغيرة، وأدركت على الفور أنها غارة بريطانية، .. وأردت أن أتأكد على أي حال، فتركت السفير الإندونيسي وصعدت إلى سطح المنزل أراقب الغارة، وأسمع صوت الطائرات لأتأكد أنها طائرات بريطانيا. ثم تلقيت بعدها الإعلان البريطاني – الفرنسي عن بدء عمليات حربية ضد مصر. " [2]

ولكي يكون الزعيم الحق ذا هيمنة على الأحداث يجب أن يكون له بصيرة محيطة بواقع الحياة دارسة لمختلف المواقف ، خبيرة بجميع العواقب التي تسفر عن كل خطة، مُلِم بالتطور الطبيعي لهذه الأحداث طبقاً لما أملاه التاريخ وسجله لكل أمة من الأمم في تقدمها وصعودها ، وانتكاسها ، وهذا الإدراك الواسع لتطورات الأحداث التاريخية

([1]) توفيق الحكيم " عودة الوعي " دار الشروق الطبعة الثانية ص ٥٧ ، ٥٨.

([2]) من تصريحات الرئيس جمال عبد الناصر إلى مجلة آخر ساعة عن العدوان الثلاثي ٥ ديسمبر ١٩٥٦.

obeikandl.com

يمكنه من أن تَعَرُّف كل التوقعات التي تنتج عن كل إجراء تتخذه وكل موقف تقفه ، وكل تخطيط تخططه .

الزعيم الحق هو الذي يحفظ دولته من التورط في الأخطاء السياسية أو الاجتماعية، أو المالية ، كما يعمل الزعيم على تجنيب دولته شر الأحداث ومقاتل النكبات ، والعمل على الارتقاء بها وإلحاقها بالدول المتقدمة المزدهرة . [١]

على كل حال فإن مسئولية عبد الناصر عن قرار تأميم القناة لا تتمثل فقط في أنه اتخذه منفرداً دون شريك من الحكومة أو حتى من قادة الجيش ، وإنما في أنه اتخذه بينما كانت مصر غير مستعدة للحرب لا على مستوى التدريب على الأسلحة الروسية الجديدة ولا على مستوى قيادة القوات المسلحة ، فعبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة بإجماع مؤرخي ثورة يوليو " غير مؤهل في شخصيته لتولي هذا المنصب الكبير ، ولكن جمال عبد الناصر عينه خلال أزمة التناقض مع محمد نجيب لضمان السيطرة على الجيش لثقته من ولاء عبد الحكيم له باعتباره صديق عمره والذي كان يسكن معه في مسكن واحد قبل الزواج .[٢]

ويقول حسنين هيكل أن تعيين عبد الناصر عبدَ الحكيم عامر قائداً عاماً للقوات المسلحة " كان ذلك واحداً من أكبر أخطاء جمال عبد الناصر ". [٣]

ويقول السادات " كان لعبد الحكيم أخطاؤه بطبيعة الحال ولكن الأهم من ذلك أنه كان يسئ اختيار معاونيه بشكل فاضح ، وكان أبرز ملامح شخصيته روح القبيلة فهو يساند من يعاونه على حق كان أم باطل ، وكان عبد الناصر كعادته يناصر عامر ظالماً أو مظلوماً . " [٤]

أما جهاز المخابرات الحربية فقد عاب عليه الفريق مرتجي أنه كان يطلب منه "التركيز على الداخل أكثر من الخارج فالمطلوب بالدرجة الأولى هو تأمين النظام

([1]) محمد على الغتيت " العبقرية والزعامة السياسية " مرجع سابق ص ١٩٨، ١٩٩.
([2]) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الجزء الأول مرجع سابق ص ٤٧٤.
([3]) محمد حسنين هيكل " سنوات الغليان " مركز الأهرام للترجمة والنشر ص ١٠٤ .
([4]) محمد أنور السادات " البحث عن الذات " المكتب المصري الحديث ص ١٧٠ ، ١٧١.

وعدم الخروج عليه ولذلك يوجه مجهودهم للجري وراء الضباط وغيرهم متقصياً أحوالهم ولذلك خفي عليه الكثير من أسرار العدو . " [١]

وقد أبدى موشى ديان دهشته لسهولة استيلاء القوات الإسرائيلية على المواقع المصرية فقال "لقد فوجئ الجيش المصري تماماً بعملياتنا، على الرغم من الأنباء المنشورة في صحف العالم قبل أيام عن تعبئة جنود الاحتياط في إسرائيل، واستعداداتنا للحرب ! فلم يقدر المصريون أن هذه الاستعدادات موجهة ضدهم ." [٢]

وبعد أن عرضنا كيف تسبب عبد الناصر في الأزمة نتعرَّف على رأي الاستراتيجيين في الأسباب التي تؤدي إلى وقوع الأزمات لبيان مدى مسئولية جمال عبد الناصر في وقوع أزمة حرب السويس ١٩٥٦ .

الأسباب التي تؤدي إلى وقوع الأزمات

إن الأخطاء البشرية تمثل ٦٥% من أسباب الأزمات فقد يؤدي خطأ بشري إلى سيادة مناخ عمل غير مناسب يثمر عن إشاعة حالة من التراخي والتوجس والخوف وتقاعس الكثير عن القيام بوظائفهم وانتشار الخلل ، وتتبلور الأخطاء البشرية في عدة أمور أهمها :-

أ- سوء الفهم: - ويعد سوء الفهم أحد أهم أسباب نشوء الأزمات وهو ينشأ عادة من خلال:

- معلومات ناقصة وغير متكاملة عن موضوع معين أو حالة خاصة .

- التسرع في إصدار قرار أو الحكم على الأمور قبل تبين حقيقتها .

ب – سوء الإدراك :- الإدراك هو استيعاب المعلومات التي أمكن الحصول عليها، فإذا خرج الحكم التقديري على الأمور المعروضة نتيجة عدم استيعاب المعلومات التي

([1]) د. عبد العظيم رمضان " المواجهة المصرية الإسرائيلية في البحر الأحمر " مرجع سابق ص ١٢٧.

([2]) نقلا عن د. عبد العظيم رمضان " الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة السويس " ص ٣٧.

obeikandl.com

أمكن الحصول عليها عن الصواب أو حدث فيه تداخل في الرؤية والتشويش فإنه يؤدي إلى عدم سلامة الاتجاه باعتبار أن هذا الحكم هو الذي يحدد طريقة التصرف شكلاً ومضموناً . وفي الكيان الإداري يؤدي هذا إلى انفصام العلاقة بين الأداء الحقيقي وبين القرارات التي تحكمه مما يساهم بدرجة كبيرة في توليد ضغط يفجِّر أزمة.

ج- سوء التقدير والتقييم :- وهي أكثر أسباب حدوث الأزمات في جميع المجالات وينشأ سوء التقدير والتقييم من خلال جانبين أساسيين هما :

١- المغالاة والإفراط في الثقة في النفس وفي القدرة الذاتية لمواجهة الطرف الآخر والتغلب عليه .

٢- سوء تقدير قوة الطرف الآخر والاستخفاف به واستضعافه والتقليل من شانه في حين يقوم الطرف الآخر بالآتي :

١- حشد طاقته وتجميعها وإعدادها .

٢- تحقيق عنصر المفاجأة التي تصل إلى درجة الصدمة التي تفقد الطرف الأول توازنه ومن هذا تحدث الأزمة الخطيرة.

د- سوء الإدارة:- وسوء الإدارة ليس فقط باعث على حدوث الأزمات على حدوث الأزمات ولكنه يعد أيضاً وبدرجة كبيرة عنصراً مدمراً وأشد خطورة ويصل إلى حد الإجرام القائم على الجهل وتشجيع الانحراف والتسيب ويرجع أساساً إلى أن سلطة اتخاذ القرار تسيء إدارة الأعمال عندما تميل إلى :

- عدم اعترافها بالتخطيط وأهميته وضرورته للنشاط .

- عدم احترامها للهيكل التنظيمي للمنشأة وتخطي القيادات الإدارية التالية لها وشيوع حالة من عدم الانضباط .

- قصور التوجيه وعدم وجود التنسيق وإشاعة الصراع الداخلي بين الأفراد والكيان الإداري .

- عدم وجود متابعة أو رقابة علمية وقائية وعلاجية مما يشيع جوّاً من الإرهاب والخوف والتطاحن والشك بين الأفراد .

– قيام الإدارة على المزاج الشخصي وافتقاد الرؤيا المستقبلية .

هـ :– استعراض القوة : – ومن أسباب الأزمات هنا ما تقوم به بعض العناصر الطموحة عندما تحوز جزءاً من المكانة بعملية استعراضية خاطفة للتأثير على مسرح الأحداث ، واختبار مدى تأثيرها على العناصر الأصغر وتتدخل جملة عوامل غير منظورة فتحدث الأزمة وتتفاقم مع تتابعات الأحداث .

و– الرغبة في الابتزاز :– وتعد الرغبة في الابتزاز من أكثر أساليب خلق الأزمات وأكثر أدوات صناعتها والتي تستخدمها الكيانات العملاقة لتدمير الكيانات الصغرى.

كما أن جماعات الضغط ، وجماعات المصالح أيضاً تستخدم هذا الأسلوب لجني المكاسب غير العادلة ، ووسيلتها الفعالة إلى ذلك هي صنع الأزمات المتتالية للكيان المستهدف . [1]

وبعد هذا العرض الموجز للأسباب التي تؤدي إلى حدوث الأزمات ندرك تماماً أن عبد الناصر يتحمل المسئولية كاملة في إشعال الأزمة بسوء فهمه ، وإدراكه، وتقديره لها ؛ فقد ارتكب جميع الأخطاء التي تؤدي إلى حدوث الأزمات دون الإعداد المسبق لها ، ولا تقدير عواقبها .

والآن نستعرض شروط نجاح إدارة الأزمات لنرى هل نجح عبد الناصر في إدارة الأزمة كما نجح بسوء فهمه وتقديره في إشعالها ؟

شروط نجاح إدارة الأزمات

يتطلب نجاح الإدارة بالأزمات عدة شروط من أهمها :

١– وجود تفاوت كبير في ميزان القوى لصالح مدبر الأزمة مما يضطر المستهدف بها إلى التسليم بمطالبه تجنباً لصراع يعرف الأخير نتيجته مسبقاً .

٢– وفي حالة عدم وجود فارق جوهري بين قوة الطرفين فإن على مدبر الأزمة أو مفتعلها أن يقنع الطرف المستهدف بها بقدرته على تكبيده خسائر فادحة في حالة عدم

([1]) لمزيد من التفصيل راجع د . محمد محمد الشافعي " إستراتيجية إدارة الأزمات " مركز لمحروسة للنشر الصفحات من ٤٦ – ٥٣ .

openkandil.com

إذعانه ، وأنه لمن الخطورة بمكان أن يكتشف الأخير أن الأول ليس جاداً في تهديده أو ليست لديه القوة الكافية لتنفيذه حينئذ يقع مدبر الأزمة ضحية لها.

٣- وفي كل الأحوال يظل الهدف النهائي للإدارة بالأزمات - كما هو الشأن بالنسبة لإدارة الأزمات – عدم تصعيد الأزمة إلى الحد الذي يحولها إلى صراع سافر وهي الحالة التي يقدر فيها المستهدف بالأزمة أنه مطالب بالتضحية بمصلحة جوهرية أو أساسية من مصالحه هنالك تصبح تكلفة السلام بالنسبة له أفدح من تكلفة الحرب.

٤- إن الإدارة بالأزمات وإن كانت هي فعل متعمد بهدف تغيير طبيعة العلاقات القائمة لصالح مدبر هذا الفعل فإن هذا لا يعني بالضرورة قدرة مدبر هذا الفعل على السيطرة على تطورات الأزمة إذ أن الأزمة قد تنحو في طور متقدم من أطوارها إلى التمرد على السيطرة والإفلات من تحت قبضته واكتساب قوة دفع ذاتية خاصة قد تعمل لغير صالح مدبرها . [١]

هل طبق عبد الناصر شروط نجاح إدارة الأزمات ؟

يتطلب نجاح الإدارة بالأزمات شروط أربعة ، ولم يتوفر شرط واحد من تلك الشروط في الأزمة التي أشعلها عبد الناصر بتأميم قناة السويس ، فإذا كان الشرط الأول يتطلب وجود تفاوت كبير في ميزان القوى لصالح مدبر الأزمة فإن ميزان القوة كان لصالح المستهدف وليس لصالح مدبر الأزمة فإسرائيل أحد ثالوث العدوان كادت تحتل سيناء كلها قبل أن تتدخل انجلترا وفرنسا في القتال .

وإذا كان الشرط الثاني يتطلب إقناع مدبر الأزمة الطرف المستهدف بها بقدرته على تكبيده خسائر فادحة في حالة عدم إذعانه فإن عبد الناصر لم يستطع إقناع العدوان الثلاثي بقدرته على تكبيده خسائر فادحة في حالة عدم إذعانه فهم يعلمون جيداً حالة الجيش المصري ، وسوء إدارته فضلاً على عدم اكتمال تدريبه على الأسلحة الروسية الحديثة .

([1]) لمزيد من التفاصيل الرجوع إلى د. عباس رشدي العماري " إدارة الأزمات في عالم متغير " مركز الأهرام للترجمة والنشر ص من ٤٩ ، ٥٠ .

Obeikandl.com

أما عن الشرط الثالث وهو عدم تصعيد الأزمة إلى الحد الذي يحولها إلى صراع سافر فقد سد عبد الناصر كل السبل أمام احتواء الأزمة وتفويت الفرصة على أعدائه إلى تحويلها إلى عدوان سافر كما سنرى .

وقد كانت النتيجة الحتمية ، كما جاء في الشرط الرابع ، إفلات الأزمة من تحت قبضة عبد الناصر واستغلها أعداؤه لصالحهم ، واحتلت إسرائيل سيناء كما احتلت انجلترا وفرنسا مدن القناة وقبل أن يتجرع عبد الناصر سم الهزيمة تدخلت أمريكا لتنقذه ليس حبّاً فيه لكن كرهاً في عودة الاحتلال القديم لمستعمراته السابقة التي تخطط أمريكا للاستيلاء عليها .

كان هذا موجزاً لفشل عبد الناصر في إدارة الأزمة ودونك الأحداث بشيء من التفصيل.

توابع تأميم القناة

في أعقاب تأميم قناة السويس انعقد مؤتمر لندن في ١٦ أغسطس ١٩٥٦ بحضور ٢٢ دولة، تمثل جملة دول حلف الأطلنطي ودول الكومنولث والدول الموالية لبريطانيا وفرنسا وأمريكا، ورفضت مصر حضور المؤتمر، وفي أول جلسة قدم وزير خارجية أمريكا مشروعاً يقضي بتدويل القناة، ولكن الرئيس عبد الناصر رفض ذلك المشروع، ثم تقرر تأليف لجنة خماسية من أستراليا وأمريكا والسويد وإيران وإثيوبيا، برئاسة روبرت منزيس رئيس وزراء أستراليا، تحضر للقاهرة لعرض المشروع الأمريكي على الرئيس جمال عبد الناصر، وجاءت اللجنة إلى مصر يوم ٢ سبتمبر وعقدت آخر اجتماعاتها بالرئيس مساء يوم ٩ سبتمبر، ولم تلق سوى الرفض القاطع لفكرة إنشاء أية إدارة دولية للقناة أو أي إشراف دولي عليها.

وإذا كانت بريطانيا وفرنسا قد رأت في سياسات عبد الناصر ما يهدد مصالحهما في المنطقة، فقد وجد بن جوريون أن دعاوى عبد الناصر للوحدة والتحرر إنما يهدد الوجود الإسرائيلي ذاته، فإسرائيل في ذلك الوقت كانت دولة حديثة الاصطناع،

تحالفت قوى الاحتلال على زرعها كشوكة في قلب الوطن العربي، فقصد بن جوريون فرنسا وعرض عليها خطة مرسومة للعدوان على مصر، تشترك فيها الدول الثلاث، وملخصها أن إسرائيل تهاجم مصر ثم تتدخل فرنسا وبريطانيا لمطالبة الدولتين بسحب قواتهما إلى مسافة معينة من منطقة القناة، وبالطبع سترفض مصر ذلك، فيكون ذلك الرفض حجة لهما لمهاجمة بور سعيد والاستيلاء على المنطقة . [١]

كيف أدار عبد الناصر الأزمة ؟

وبدلاً من تعزيز عبد الناصر قواته المسلحة في سيناء تحسباً لأي عدوان إسرائيلي محتمل كما أكدت ذلك معلومات لا ينقطع ورودها من داخل إسرائيل ، ومن باريس عن أسلحة وإمدادات عسكرية تصل إلى إسرائيل بصورة لم تحدث من قبل ، فبدلاً من حشد القوات المصرية على حدود إسرائيل لصد عدوانها أمر بعد الناصر بسحب القوات الرئيسية من سيناء ، ولم يبق هناك سوى ست كتائب حددت واجباتها على أنها التطويق والإنذار . [٢]

وقد أكد عبد الناصر في حديث له " يجب أن تبقى قواتنا الضاربة بعيدة إلى الوراء حتى نكون في الموقف الذي يسمح لها باختيار الوضع الملائم لها واختيار مكان المعركة ." [٣]

وبناء على ذلك أمر عبد الناصر بسحب القوات النظامية من غزة وترك الدفاع عنها لقوات الحرس الوطني والفلسطيني ، وكانت مهمة هذه القوات تعويق أي هجوم إسرائيلي على الجبهة . [٤]

كانت المواقع المصرية في سيناء شبه خالية إلى درجة دفعت الجنرال " بينز " كبير مراقبي الهدنة إلى أن يكتب تقريراً لـ " داج همرشولد " السكرتير العام للأمم المتحدة

([1]) أ.د. رءوف عباس حامد موسوعة " ناصر " مرجع سابق .
([2]) السفير صلاح بسيوني " مصر وأزمة السويس " دار المعارف ص ١٩٢ .
([3]) أ.د. رءوف عباس حامد موسوعة " ناصر " مرجع سابق .
([4]) السفير صلاح بسيوني " مصر وأزمة السويس " دار المعارف ص ١٩٨ .

يقول له فيه : " إن تقلص حجم القوات على الخطوط المصرية يمثل إغراءً شديداً لإسرائيل ." [١]

ولكن عبد الناصر – الزعيم الملهم !! – استبعد أن تقترب إسرائيل من هذا الإغراء في هذه المرحلة . كان تقرير عبد الناصر أن إسرائيل سوف تتردد حفاظاً على صورتها العامة في آسيا وأفريقيا وأمام الرأي العام العالمي عموماً في القيام بدور التابع لاثنين من الدول الاستعمارية الكبرى .

وفي نفس الوقت كان تقديره وبعد تراجع خطر التدخل البريطاني الفرنسي عقب انتهاء مناقشات مجلس الأمن " أن إسرائيل لن تسارع بالعمل المسلح وإلا فإنها سوف تظهر نفسها في صورة من يعيد تأزم الموقف في الشرق الأوسط بعد أن بدت احتمالات انفراجه ، وأن ذلك سوف يعرضها للوم شديد ويضعها في موقف سياسي صعب قد تفضل تجنبه . [٢]

لقد كان عبد الناصر يستبعد أي هجوم من قبل إسرائيل لسبب بسيط أنه ومنذ أن تولَّى الحكم لم يهدد أمن إسرائيل أبداً ، ولم يلوِّح حتى بتهديدها رغم الاستفزازات الإسرائيلية له بل والاعتداءات المتكررة على غزة والعوجة والكونتيلا ، وقتلها حوالي مائة وخمسين شخصاً ، غير الجرحى .

لقد توهَّم عبد الناصر أنه مادام لم يتعرض لأمن إسرائيل حليفة الغرب فهو في أمان منها ومنهم ، وأنه مادام في حمى الاتحاد السوفييتي فإن الغرب لن يتعرض له بسوء ، ولا تجرؤ إسرائيل على ذلك أيضاً .

ونسي عبد الناصر أن هذا كان ممكناً إبان تحالفه مع الغرب أما وقد خرج عليه فإن الغرب لن يتردد في هدم زعامته كما عمل على صناعتها .

أما بالنسبة للاتحاد السوفييتي فهو مازال يعيش في عزلته ، ولم يكن يفكر في الدخول في مواجهة مع المشروع الغربي بعد وليس لديه من القوة ولا من العزم فعل

([1]) محمد حسنين هيكل " ملفات السويس " دار الشروق ص ٦٠٩ .
([2]) نفسه ص ٦٠٩ .

ذلك على الأقل في الوقت الراهن وقد نصح السوفييت عبد الناصر بعدم معاداة الغرب اعتماداً على مساعدتهم له بل يجب أن يعمل على تحقيق السلام لا إشعال الحروب وهذا ما صرح به وزير خارجية روسيا وصرَّح به عبد الناصر في خطاب التأميم : " وقال لى : ان احنا مش عايزين نوقع بينكم وبين الدول الغربية ؛ لإن احنا بنتجه إلى السلام ويهمنا أن يكون فيه سلام بينكم وبين الدول الغربية، وقال: ما تعتبرش ان احنا غرضنا من ان احنا نتعاون معاكم ان احنا نثيركم على الدول الغربية أو نخلق اضطرابات، احنا بنعمل الآن على كسر حدة التوتر فى العالم؛ ولهذا سياستنا انكم تكون علاقتكم كويسة مع الغرب، واحنا نتعاون معاكم، ولا نهدف أبداً إلى إثارتكم مع الغرب " .

وهكذا بني عبد الناصر قراره على حسابات خاطئة تماماً ، ولو كان قد استشار أهل الخبرة والتخصص أو محترفي السياسة الذين سخر منهم في خطابه لما كانت الأمور وصلت على ما وصلت إليه .

وعلى عكس توقع عبد الناصر بدأ الهجوم الإسرائيلي على سيناء في الساعة الخامسة بعد ظهر ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦بتقدم اللواء السابع المدرع في اتجاه موقع الكونتيلا ، وهكذا بدا الهجوم الإسرائيلي على مصر في ذلك اليوم عملاً غير مفهوم بالنسبة لعبد الناصر في أهدافه ومقاصده . [١]

كانت اهتمامات عبد الناصر قبل بدء الهجوم الإسرائيلي بساعات قليلة متجهة إلى الأردن فقد تكرَّرت التحرشات الإسرائيلية له طبقاً لخطة الخداع الإستراتيجية ، ولم يكن جمال عبد الناصر بالطبع على علم بها في تلك الساعات ، ولقد ركَّز من جانبه على دفاعات الأردن وبعث إليه من الأسلحة وأسراب من الطائرات هدية من مصر وتلقى من الملك حسين ملك الأردن خطاباً بتاريخ ٢٧ أكتوبر أي قبل يومين اثنين من بدء الهجوم الإسرائيلي يشيد بهذه المساعدة . [٢]

([1]) محمد حسنين هيكل " ملفات السويس " مرجع سابق ص ٦٠٩ .
([2]) محمد حسنين هيكل " ملفات السويس " مرجع سابق ص ٦٠٩، ٦١٠ .

obeikandl.com

بدأ هجوم إسرائيل على سيناء ، واحتلت ثلاثة مواقع في الكونتيلا ورأس النقب ونخل ، وصَدَرَ أول بيان عسكري إسرائيلي في التاسعة مساء يزعم أن القوات الإسرائيلية على مشارف قناة السويس وكان ذلك بعيداً عن أية الحقيقة في ذلك الوقت.

وفي صباح ٣٠ أكتوبر وصل موليه وبينو إلى لندن واجتمعا مع إيدن ولويد لتوجيه الإنذار وفقاً للخطة المرسومة ، وصَدَرَ بعد ظهر اليوم نفسه ليطلب من إسرائيل ومصر وقف إطلاق النار وسحب قواتهما إلى مسافة تبعد عشرة أميال من كلا جانبي قناة السويس ، ومن الملاحظ أن الإنذار لم يقل جانبي خط الهدنة أو حتى جانبي النقطة التي كانت فيها قوات الفريقين عند تسلمهما الإنذار ، بمعنى أنه كان دعوة صريحة لتتقدم إسرائيل غرباً نحو قناة السويس . [١]

وقد أمهل الإنذار مصر للرد عليه مدة ١٢ ساعة وإلا تدخلت بريطانيا وفرنسا بما تريانه ضرورياً . والآن بدا شبح التواطؤ ماثلاً للعيان ، ولكن عبد الناصر كان غير قادر على التصديق ولعله لم يصدق تماماً إلا عندما انتهت فترة الإنذار في الساعة السادسة بعد الظهر بتوقيت القاهرة ، وبدأت أول غارة للطائرات البريطانية على مطار " ألماظة " الملاصق لبيته .

وقد شاهد عبد الناصر الغارة بنفسه وسمع أزيز الطائرات المغيرة بينما هو في مكتبه في البيت ، وهرع جمال عبد الناصر إلى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة.[٢]

لماذا لم تنفذ اتفاقية الدفاع المشترك في حرب السويس ؟

قبل العدوان الثلاثي على مصر كان قد تم عقد اتفاقية عسكرية بين مصر وسوريا في ٢٠ أكتوبر ١٩٥٥ تقضي بتوحيد القيادة في الجيش المصري والسوري وأصبح عبد الحكيم عامر بمقتضاها قائداً للجيش وقد أعلن عبد الناصر في حفل التصديق على هذه الاتفاقية في ٨ نوفمبر ١٩٥٥ قائلاً : " إن هذه الاتفاقية هي فاتحة مستقبل

([1]) د.لطيفة محمد سالم " أزمة السويس " مرجع سابق ص ٢٨٣ .

([2]) محمد حسنين هيكل " ملفات السويس " مرجع سابق ص ٦١٢ .

obeikandi.com

جديد فالتاريخ يرينا أنه إذا اتحدت سوريا ومصر فإنهما تحميان العالم الشرقي من جميع الأخطار التي تهدده وهذا ما حدث بالضبط في أيام الصليبيين فعندما تحالف سوريا مع مصر استطاعتا أن تقوما معاً بحماية العالم الإسلامي أما اليوم فتحمي سوريا ومصر العالم العربي من الصهيونية . "

وبعد أسبوع من الاتفاقية المصرية/ السورية أي في ٢٧ أكتوبر ١٩٥٥ كانت هناك أيضا اتفاقية عسكرية رسمية بين مصر والسعودية بمقتضاها أيضاً يكون هناك توحيد للقيادة العسكرية .

وفي ربيع ١٩٥٦ وبالتحديد في ١٢ مارس ١٩٥٦ عقد مؤتمر مشترك في القاهرة بين عبد الناصر والملك سعود والرئيس شكري القوتلي رئيس سوريا أعلن عبد الناصر قولته الكبيرة بضرورة قيام جبهة موحدة ضد إسرائيل بل بعد هذا المؤتمر بما يزيد عن شهر عقدت اتفاقية دفاع مشترك بين مصر والسعودية واليمن في ٢١ إبريل ١٩٥٦ وليس ذلك فحسب بل عقدت اتفاقية للدفاع المشترك بين مصر وسوريا والأردن حيث تولى عبد الحكيم عامر قائداً لجيوش هذه الدول الثلاث .. من أجل التصرف واتخاذ القرار والإجراء المناسب ضد إسرائيل.

وكانت حرب ١٩٥٦وحيث إنها أول مواجهة إسرائيلية عربية بعد قيام حركة الضباط الأحرار عام ١٩٥٢ .. وحيث إنه خلال الفترة من ١٩٥٢ وحتى هذه المواجهة كانت هناك تلك الاتفاقيات ومعاهدات الدفاع المشترك مع الدول العربية المواجهة لإسرائيل وغيرها بالإضافة إلى ميثاق الدفاع العربي المشترك واتفاقاته الموقعة من الدول العربية الأعضاء بالجامعة العربية وكل هذه تمهيدات ومقدمات لهذه المواجهة فماذا كان عن الموقف الحقيقي والواقعي لفاعلية هذه المعاهدات... ومدى جدية وإخلاص أطرافها في تنفيذها واحترامها ؟!

إذا بدأنا بالأردن باعتباره يقع على خط المواجهة مع إسرائيل بطول يصل إلى ٦٥٠ كيلو متر وهو بذلك يعد أكبر وأطول جبهات المواجهة العربية مع إسرائيل.. وكان

لديه فرقة مشاه كاملة بالإضافة إلى ما يقرب من لواء مدرع بالإضافة إلى قيادة وطنية وجنود يتحمسون لغسل عار ١٩٤٨ حيث كان القائد البريطاني جلوب قائداً للفيلق الأردني العربي أثناء هذه الحرب لذا قام الملك حسين بتعريب قيادة الجيش الأردني فطرد القائد البريطاني جلوب ، وعين علي أبو نوار رئيساً للأركان بتاريخ ٢٤ مايو ١٩٥٦، وألح على عبد الناصر في الدخول إلى المعركة وبرغم ذلك رفض عبد الناصر تحت مبرر خوفه من تدمير الجيش الأردني من جانب إسرائيل.

كان الأردن على استعداد وحماس عربي قوي لدخول هذه الحرب لمعاونة مصر ومصداقاً لاتفاقيات الدافع المشترك ولتحقيق الهدف القومي العربي ألا وهو مواجهة إسرائيل عسكريّاً كجبهة موحدة مؤثرة ولاسيما أن رئيس الحكومة الأردنية سليمان النابلسي كانت ميوله نحو مصر كبيرة ويعتبرها القائدة في الساحة العربية لاسيما بعد تحالفه وتضامنه وتعاطف العناصر الوطنية المصرية معه ودفعه ومعاونته لتولي مقاليد الأمور بعد الملك حسين في السلطة وكذلك قيادة الجيش الأردني للواء على أبي نوار المعروف بشجاعته وكفدائيته والتي عقب تعيينه في منصب قائد الجيش الأردني استشعر الجميع بالراحة والاطمئنان بل إن علي أبي نوار كان يتصل بالأمريكان للحصول على تسليح للأردن من أجل حماية بلده والدفاع عنها وفي نفسه للمواجهة مع إسرائيل في الوقت المناسب .

وموقف عبد الناصر لم يختلف أيضاً بالنسبة لسوريا وحيث كانت مرتفعات الجولان لديها وفي حوزتها لواء مشاه ميكانيكي مدعم بكتيبه من الدبابات وكانت القيادة العسكرية السورية قد أعدت خطة لمواجهة إسرائيل من هذه المرتفعات إبان حكم شكري القوتلي المتحالف مع مصر في ذلك الحين وتحت مظلة قيادة الدفاع المشترك كانت هيئة العمليات السورية تنتظر تعليمات وتوجيهات عبد الناصر للبدء فوراً في هذه المواجهة .

وعندما بدأت معركة العدوان الثلاثي كان اللواء حافظ إسماعيل رئيس أركان القيادة المشتركة قد تصادف وجوده وقتئذ في دمشق بعد أن تخلَّف عن مرافقته المشير عامر

إلى القاهرة وفقاً لتعليماته لبحث بعض الموضوعات مع رئاسة الأركان السورية وبدأت هذه العمليات العسكرية للجيش السوري تتساءل عن الدور المطلوب منها لتأدية واجبها القومي والوطني والعربي وبدأت بالاشتراك مع فرع القيادة المشتركة بدمشق البحث عن أنسب الخطط المعاونة الجيش المصري .

وعندما اتضح التواطؤ الأنجلو فرنسي مع إسرائيل أصدر عبد الناصر تعليماته بعدم قيام الجيش السوري بأيه عملية حربية ضد إسرائيل حفاظاً عليه من التدمير.

وهذه التعليمات التي يذكرها جمال حماد قد استقبلها بالشفرة اللواء حافظ إسماعيل الذي كان متواجداً كما سبق ذكر ذلك وكانت الرسالة تبين أن المعركة معركة الاحتلال ضد مصر وليست معركة العروبة ضد إسرائيل لذا صدرت الأوامر بعدم إجراء القوى العربية أي عمليات ضد إسرائيل .

وهكذا شلَّ عبد الناصر القوى العربية المواجهة لإسرائيل والتي كانت في تلك الآونة في قمة حماسها لمعاونة جيش مصر وكانت أول فرصة لأن تكون القيادات العسكرية العربية مجتمعة وأن تقوم بدورها في مواجهة إسرائيل وإرباك المخطط الإسرائيلي بل إجهاضه في مواجهة هذه القوى العربية مجتمعة وكذلك فرصة لعدم تورُّط انجلترا بالعمل ضد حلفائها في المنطقة ولم يكن هناك أمل لدى بن جوريون وموشى ديان في تحقيق أهدافهم التكتيكية والإستراتيجية أروع من منع القائد الأعلى للقوات العربية وهو عبد الناصر للقوات العسكرية العربية من التدخل في المعركة .

فلم تكن هذه الاتفاقيات أو المعاهدات للدفاع المشترك إلا إطارات شكلية ظاهرة أمام الرأي العام العربي تمثل واجهة عربية تبدو موحدة بزعامة عبد الناصر كتعبير إعلامي فقط لدوره كزعيم ورائد لمسمى القومية العربية .

ولكن لا يجب التغافل عن سعي عبد الناصر لتكوين هذه الجبهة الموحدة لتكون تحت زعامته لا تحرير فلسطين ، ولا حتى لمقاومة توسعاتها إنما لتكون هذه الجبهة

العربية في خدمة الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط بالتنسيق مع الولايات المتحدة ففي خلال مفاوضات عبد الناصر وخطاباته مع مبعوثي المخابرات الأمريكية المركزية عندما كانت تدور حول توقيع مصر لمعاهدة أمن متبادل بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية كشرط لتسليح الولايات المتحدة مصر ومدها بما تحتاج إليه من أسلحة حديثة كان عبد الناصر يفضل وجود تحالف عربي أو جبهة عربية لتقوم بدور الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط لتحقيق أهدافه المشتركة بين مصر وأمريكا بدلاً من توقيع معاهدة أمن متبادل مع أمريكا تحد من زعامته للعرب، وبذلك فإن عبد الناصر نجح بالفعل في تكوين وإقامة هذه التحالفات العربية وتمكن من السيطرة والتحكم على حركتها العربية في المنطقة في تلك الآونة. ومن هنا كان تقييده لحركتها في حرب ١٩٥٦ وتوسيعها في عام ١٩٦٧؟

وهنا يعقب حسن التهامي بقوله : إن عبد الناصر بقيادته المزدوجة هذه.. قد أثبت حسن اختياره وصحة انتخابه كقائد للمنطقة بمعرفة الولايات المتحدة ولم يكن لأي قائد آخر الجرأة في أن يقف هذا الموقف المضاد للمصالح والحقوق العربية.

والكثير من التساؤلات والملابسات قد أحاطت بمقدمات ونتائج العدوان الثلاثي واختلط لدى البعض خيوط هذا الأمر المهم الجلل في تاريخ منطقة الشرق الأوسط ومن أبرز هذه الخيوط عدم موافقة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على هذا العدوان على مصر وعندما وقع وقفا بجانب مصر وأجهضا هدف ذلك العدوان العسكري مما حقق نصراً سياسيّاً لعبد الناصر غطَّى به الهزيمة العسكرية وأضحى بطلاً للتحرر الوطني بالنسبة لدول العالم الثالث ولاسيما في منطقة الشرق الأوسط وفي تلك الآونة انسحب الإعلام السياسي على الانكسار العسكري مما أوحى لأجيال عديدة بأن هناك نصر عسكري . "[١]

([1]) مزيد من التفاصيل حول اتفاقية الدفاع المشترك ولماذا لم تُفَعَّل في حرب السويس راجع الفصل الحادي عشر: حرب ١٩٥٦بين السياسة الناصرية وخطر الصهيونية واحتلالها سيناء للمرة الأولى " في كتاب محمد الطويل " لعبة الأمم وعبد الناصر " المكتب المصري الحديث .

العدوان الثلاثي كان يستهدف عبد الناصر أم مصر ؟

وفي اللحظة التي دخل فيها عبد الناصر مقر القيادة كان صلاح سالم يشرح رأيه الواقعي ، ولم يتراجع صلاح سالم عما كان يقوله وإنما كرره أمام جمال عبد الناصر وأضاف إليه " إنك قمت بخدمة عظيمة لهذا البلد وضحيت كثيراً من أجله والآن كتبت عليك المقادير أن تضيف لتضحياتك تضحية أخرى وأن تقبل تسليم نفسك . إن إيدن أعلن في خطابه أن الحرب تستهدفك أنت وليس الشعب المصري فإذا عرفوا أنك على استعداد لتسليم نفسك توقفت الحرب على الفور ، ثم استطرد صلاح سالم قائلاً إنه يعرف أن السير " همفري تريفيليان " السفير البريطاني في القاهرة لم يغادرها بعد وإذا توجه جمال عبد الناصر لمبني السفارة وسلم نفسه فإن ذلك كفيل بحل الأمور . [١]

والحقيقة إن رأي صلاح سالم كان رأياً واقعيّاً كما وصفه هيكل فقد كان عداء دول العدوان الثلاثة لشخص عبد الناصر وليس لمصر كما بينا ، ولكن عبد الناصر لم يشأ أن يعترف بهذه الحقيقة ، كما لم يشأ أن يضحي بنفسه في سبيل سلامة مصر ، ولم يوافق حتى على رأي عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة بضرورة قتال القوات المسلحة في مواقعها مهما كانت الظروف إلى آخر طلقة وإلى آخر رجل .

ولكن عبد الناصر تمسَّك بالسلطة وراح يزيف الحقيقة قائلاً : " لو كان يعرف أن المعركة هي شخصه لابتعد بأي وسيلة عن مسرح الحوادث ، ولكن المستهدف هو مصر وشعبها ، وإذا لم يقف الشعب المصري في هذا الموقف ويخوض المعركة دفاعاً عن وطنه ومستقبله ، فإن مصير الأمة يصبح معرضاً للضياع ". [٢]

وإليك عزيزي القارئ المزيد من الأدلة التي تثبت كذب ادعاء عبد الناصر بأن العدوان الثلاثي كان يستهدف مصر وشعبها وليس شخصه.

بعثت الخارجية البريطانية في ١٠ أغسطس ١٩٥٦ لسفيرها بالعاصمة الفرنسية قواعد الترتيبات ، وشملت إسقاط عبد الناصر ونظامه لأن الكراهية القائمة هي له

([1]) محمد حسنين هيكل " ملفات السويس " مرجع سابق ص ٦١٣ .

([2]) محمد حسنين هيكل " ملفات السويس " مرجع سابق ص ٦١٣ .

وليست للشعب المصري ، وإيجاد حكومة مصرية أخرى تكون صديقة للغرب ، وفي نفس الوقت تتمتع بمساندة شعبية ، وتبدي استعدادها لقبول تسوية دولية جديدة لقناة السويس، وأنه حتى تتم هذه الترتيبات لابد من احتلال منطقة القناة لضمان حرية مرور حركة الملاحة لجميع المنتفعين بالقناة ومن ثم تدفع رسوم المرور لحساب الشركة القديمة ، وتؤسس حكومات عسكرية في مدن القناة وفي مناطق أخرى يرى أنها ضرورية للقناة ، وذلك أثناء فترة الانتقال بين نظام عبد الناصر ، وقيام النظام الجديد الذي تعقد معه اتفاقية يتم بموجبها جلاء القوات الأنجلو فرنسية عن منطقة القناة بعد عمل اللازم لتأسيس شركة عالمية جديدة لإدارة القناة يدفع لها الرسوم .[١]

فلقد قام العدوان لإسقاط نظام عبد الناصر الذي عادى الغرب كله وراح يستثير حفيظته ، دون أي استعداد عسكري ولا شعبي ولا إقليمي ولا حتى بالتنسيق مع الاتحاد السوفييتي حليفه الجديد ، ولا استشار أصدقاءه في كتلة عدم الانحياز : تيتو، ونهرو ، شواين لاي . إن ما قام به عبد الناصر لم يكن بدوافع سياسية وطنية على الإطلاق أنما كان ثأراً لكرامته الشخصية على سحب أمريكا تمويلها للسد العالي الذي كان هو السبب المباشر فيه .

ونترك هيكل فيلسوف الثورة والمستشار الخاص لعبد الناصر ليرد على مثل هذا التصرف الأخرق ضد أمريكا : "رد الفعل المطلق ضد خصم لا نطوله بطريقة مباشرة يصبح من جانبنا حالة هياج عصبي كلما زادت قل تأثيرها ! ". [٢]

ويقول أيضاً " إن وجود علاقات بيننا وبين الولايات المتحدة الأمريكية هو أمر ضروري لتحقيق التوازن في سياستنا الدولية خصوصاً في الجو العالمي الذي تذوب فيه ثلوج الحرب الباردة بتأثير طبيعة التسلح الذري ." [٣]

نعود إلى سوق الأدلة على أن العدوان الثلاثي لم يكن ضد مصر وشعبها كما يدعي عبد الناصر إنما كان ضده هو بسبب سوء سياسته " شكَّلت لجنة [١] في

([1]) د.لطيفة محمد سالم " أزمة السويس " مرجع سابق ص ٢٥٧ .
([2]) محمد حسنين هيكل " نحن وأمريكا " دار العصر الحديث ص ١٠ .
([3]) محمد حسنين هيكل " نحن وأمريكا " دار العصر الحديث ص ٩ .

باريس من الجانبين لبحث جميع الترتيبات ومناقشتها ، وتكلم السفير البريطاني في باريس عن العقبات التي يمكن أن تواجه الأعضاء ، وتمثلت في الحكومة الملائمة التي ستتولى حكم مصر بعد إسقاط عبد الناصر ... وعادوا وكرروا ضرورة إسقاط النظام المصري القائم وإحلال حكومة ديمقراطية غير عسكرية مكانه ". [٢]

لم يكن هدف العدوان الثلاثي احتلال مصر وتدمير شعبها كما زعم عبد الناصر إنما كان هدف العدوان الثلاثي ، من واقع محاضر اجتماع ممثلي انجلترا وفرنسا ، استخدام القوة العسكرية لإسقاط النظام الناصري وإعادة أمر اختيار الحكومة البديلة لاختيار الشعب المصري نفسه .

وربما قال قائل وما أدرى عبد الناصر بهذا العداء لشخصه نقول إن عداء الغرب لعبد الناصر لم يكن سرّاً في صدور الساسة الغربيين إنما هو رأي معلن فقد ظهر أيدن على شاشة تليفزيون لندن في ٨ أغسطس ليكون حامل لواء الدعاية ضد عبد الناصر، وأثناء الإعداد للخطة العسكرية "فارس" أجرى إيدن ولويد اتصالاتهما مع نوري السعيد الذي كان موجوداً في لندن، وقد أوصى من جديد بإسقاط عبد الناصر. [٣]

قال إيدن "إن رجلاً له سجل ناصر يجب ألا يسمح له بأن يطبق يده على رقبتنا " [٤]

سفير إنجلترا يحلل شخصية عبد الناصر

يقول " همفري تريفليان السفير البريطاني في مصر إبان حرب السويس في تقريره السري لوزير خارجيته عن شخصية عبد الناصر [٥] " جانب الضعف لديه هو

([1]) مثَّل الجانب البريطاني في هذه اللجنة : جيب السفير البريطاني في باريس ، وريللي ، ودف ، وفابر ، ومثَّل الجانب الفرنسي : جوكس ، ودريدان ، و رو.

([2]) د.لطيفة محمد سالم " أزمة السويس " مرجع سابق ص ٢٥٨ .

([3]) د.لطيفة محمد سالم " أزمة السويس " مرجع سابق ص ٢٥٩ .

([4]) نقلاً عن احمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليه " ج١ مرجع سابق ص ٤٥٥ .

([5]) في يوم ١٠ يناير سنة ١٩٥٧ م عهدت الملكة إلى " هارولد ماكميلان "وزير الخزانة مع " إيدن " بأن يتولى رئاسة الوزارة الجديدة وكان أول ما طلبه رئيس الوزارة الجديد تقريراً عن شخصية عبد الناصر "وكان السير " همفري تريفليان " السفير البريطاني في مصر وقت وقوع العدوان على مصر ٥٦ قد فرغ لتوِّه من إعداد تقرير طلبه منه وزير الخارجية " سلوين لويد " وليس من شك في أن السير " همفري تريفليان " كان من أذكى الدبلوماسيين البريطانيين في زمنه " محمد حسنين هيكل " سنوات الغليان " دار الشروق ص ١٦٧. وكلام همفري عن عبد الناصر المذكور في المتن هو جزء من هذا التقرير .

الافتقار إلى التعليم والخبرة بالعالم .. وخطاب عبد الناصر في مسطرد عقب سحب العرض بتمويل السد العالي وأجزاء كثيرة من خطاب ٢٦ يوليو الشهير الذي أعلن فيه التأميم هي نماذج واضحة على فقده لأعصابه وسيطرته على نفسه مما كان سبباً في أضرار شديدة أصابته .. وهو متفوق في حبك المؤامرات ، ومن أوضح خصائصه الشك والاسترابة وذلك أمر يعترف به ببساطة وقد حاولت يوماً أن أقنعه بأنه يستطيع أن ينجز قدراً أكبر إذا ما أبدى قليلاً من الثقة بالآخرين ولكنه قال إنه غير قادر على ذلك وذكر أنه تآمر في الخفاء لفترة طويلة بحيث أصبح يفكر بالأسلوب التآمري وأنه شديد الشك في كل إنسان وريبته تمتد إلى رجاله أنفسهم .. وعبد الناصر سواء بوعي أو بغير وعي يعاني من انفصام واضح في الشخصية وهي حالة عقلية يبدو أنها تتملك عدداً من المصريين .. ويرى الغرب فيه ، وله كل الحق ، أنه دكتاتور طموح متعطش للسلطة وعلى استعداد لاستخدام أي شكل من أشكال الخداع لتحقيق أهدافه .. وقد ركز بالتدريج كل سلطات الحكم بين يديه ولكن يبدو أنه مقتنع بأنه مبعوث العناية الإلهية لإيقاظ القومية العربية .. وفي المجموع فإنه دكتاتور ثوري عدواني يخلق المتاعب في كل الشرق الأوسط بدلاً من أن يحذوا حذو بطله القديم المتزن مصطفى كامل ويعمل على إقناع الدول الكبرى بأنه مهتم بتنمية بلده أكثر من اهتمامه بالمغامرات الخارجية ويبدو أن وسائله المفضلة تهريب الأسلحة ووضع خطط محكمة للتخريب وخلق متاعب لا تنتهي يستخدم فيها كل وسائل الخداع ويبدو أنه عاجز تماماً عن ممارسة ضبط النفس بقدر معقول وليس هناك ما يوقف حركته المستمرة وميله الدائم على المغالاة والتفريط مما زج به وببلاده إلى المأزق الحاضر [يقصد حرب السويس] وقد صحب ذلك استعداد للمخاطرة يصل إلى حد الاستهتار وقد قالت لي السيدة عبود [يقصد زوجة عبود باشا] تلك المرأة الاسكتلندية القوية في وقت مبكر عند وصولي إلى هنا " إن ذلك الشاب له شجاعة الشيطان " وفي شهر مايو قال لي " إنكم لا تستطيعون أن تمارسوا معي سياسة البوارج الحربية كما فعلتم مع فاروق فليس لدي عرش ولا منصب ورائي ولا ثروة " وفي أكتوبر كان يتباهى بقوله " إنه إذا هوجم فإنه سيفعل ما فعله شمشون ويدمر أعمدة المعبد وأنه استعد لمقابلة

الهجوم بتشكيل منظمة فدائية ستقوم خلال أربعة وعشرين ساعة بقتل أي رئيس للجمهورية أو رئيس للوزراء تنصبه بريطانيا وفي التحليل الأخير فإن خصائصه الغالبة هي خصائص المقامر والمغامر "

التوقيع

همفري تريفليان [١]

وكانت أمريكا تعلم بالعدوان الثلاثي على مصر لإسقاط عبد الناصر وليس لاحتلالها ثانية "كان الإعداد العسكري للغزو – وكما رأي كبار العسكريين – يحتاج إلى العون الأمريكي ، ومرة أخرى يحاول أيدن مع دالاس ، ويقول له في ١٢ أغسطس : " إن اللغة الوحيدة التي يفهمها عبد الناصر هي القوة ، وقد بدأنا نحن وحلفاؤنا الفرنسيون في الاستعداد لتصحيح الوضع ، ولرد القناة المغتصبة "فرد عليه وزير الخارجية الأمريكي : " إنني لا أريد أن أعرف شيئاً عن العمليات أو الاتفاقيات ومن الأفضل أن تظل بينكم وبين الفرنسيين " ومن ثم خاب أمل إيدن تجاه أية مساعدة عسكرية أمريكية ، ومعروف أنه لم يكن يحظى بحب أحد من المسئولين الأمريكيين إذ يدركون أنه يريد استخدامهم لحماية المصالح البريطانية ، وبالطبع فإنهم غير راغبين في ذلك . [٢]

ولقد اعترف عبد الناصر نفسه بأن العدوان الثلاثي كان يرمي إلى إسقاطه فقد قال رداً على سؤال مندوب مجلة "لوك" الأمريكية: هل تعتقد أن هدف الإنجليز والفرنسيين والإسرائيليين كان إسقاط حكومتكم؛ ولو كان الأمر كذلك فما الذي جعلهم يسيئون التقدير بهذا الشكل ؟

أجاب عبد الناصر : " طبيعي إن هذا كان هدفهم، ولكنى لم أكن أظن أن "إيدن" سوف يعمل ما عمل حتى وقعت الغارة الأولى، لقد كان هذا أمراً لا يصدق، وأعتقد

---

(١) نقلا عن كتاب " سنوات الغليان " لحسنين هيكل دار الشروق ص ١٦٦– ١٧٣ بتصرف .
(2) د.لطيفة محمد سالم " أزمة السويس " مرجع سابق ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

أنهم كانوا ينتظرون أن يجدوا مساعدة من الداخل على إسقاط هذه الحكومة. لقد فاتهم أن يفهموا التغير الذي حدث في الشعب المصري في خمس سنوات، وأنا من ناحيتي أفهم شعب مصر، أما هم فإنهم لم يفهموه . " [1]

إذن رفض أمريكا مساعدة التحالف الأنجلو فرنسي ليس حباً في عبد الناصر – وقد أمم القناة بسببها – ولكن خوفاً من عودة الاحتلال القديم للسيطرة على الشرق الأوسط وهي التي عملت على إجلائه ، رغبة في أن تحل هي محله .

لكن إذا كان الأمريكيون قد اختلفوا مع الإنجليز حول اغتيال عبد الناصر فإنهم اتفقوا معهم على عدم العمل على تقويته ، وتعطيل مشروعات التنمية والإصلاح التي كان عبد الناصر يعتمد فيها على الغرب ، خاصة مشروع بناء السد العالي ؛ فقد كره دالاس اتساع أفق القومية العربية التطورية وظل شهوراً يخفي هذا الكُرْه ، ولكن القشة التي قصمت ظهر البعير في منطق دالاس وجعلته يغير اتجاه السياسة الأمريكية كانت متجسدة فيما سمعه من أنباء تقول أن عبد الناصر سيشترك في بريوني مع نهرو وتيتو في مؤتمر وصفته الصحافة بأنه " مؤتمر الدول الحيادية " وبالطبع فإن هذا المؤتمر قد عقد دون موافقة دالاس أو تشجيعه .

وقرأ دالاس بشيء من الأسى الصحف المليئة بصور مؤتمر بريوني وأنباء نجاحه التي استفزته أيما استفزاز .. وسارت الأمور في غير مجراها واعتزم دالاس أن يوجه تحذيراً لمصر ، كما قرر بعد أن قابل عملاء ملوك القطن الأمريكيين في كواليس الكونجرس أن يجعله أكثر حدة .

وهكذا فقد اتصل تليفونيّاً بالرئيس إيزنهاور ليحصل على موافقته على سحب المساعدة الأمريكية لمشروع سد أسوان أما ايزنهاور والذي لم يكن كثير الولع بقضية تمويل سد أسوان فقد أبلغ دالاس بأن يمضي قدماً . [2]

([1]) من حوار صحفى للرئيس جمال عبد الناصر مع مندوب مجلة "لوك" الأمريكية ١٩٥٧/٦/١٤.
([2]) بول جونسون " حرب السويس " مرجع سابق ص ١٧ .

يوميات ما قبل العدوان الثلاثي

٢٤ / ٧ / ١٩٥٦ صرح الرئيس جمال عبد الناصر في القاهرة ، رداً على رفض أمريكا وبريطانيا المساعدة في تمويل مشروع السد العالي بقوله،أن مصر تستمر في طريقها لتحقيق أهدافها معتمدة على عزيمتها وقوتها ومواردها وأبنائها، وسوف تسعى لتحقيق الاستقلالين السياسي والاقتصادي .

٢٦ / ٧ / ١٩٥٦ أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس .

٢٧ / ٧ / ١٩٥٦ قدمت حكومتا بريطانيا وفرنسا مذكرتي احتجاج إلى مصر، على تأميم قناة السويس وأعلنتا عدم اعترافهما بشرعيته .

٢٨ / ٧ / ١٩٥٦ أعلنت الحكومة البريطانية في لندن تجميد أرصدة الإسترليني لمصر والأموال المصرية العامة والخاصة .

٣١ / ٧ / ١٩٥٦ أذاع الرئيس جمال عبد الناصر بياناً أكد فيه حرص مصر على حرية الملاحة في قناة السويس، وقال أن مصر واثقة من شرعية الخطوة التي اتخذتها لتأمين القناة باعتبارها شركة مصرية تخضع للسيادة والقوانين المصرية .

٢ / ٨ / ١٩٥٦ دعت فرنسا وبريطانيا وأمريكا،و ٢٤ دولة إلى عقد مؤتمر في لندن يوم السادس عشر من أغسطس لإنشاء "جهاز دولي" للرقابة على قناة السويس .

١٤ / ٨ / ١٩٥٦ أعلن سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية أن استعمال القوة هو آخر الحلول التي تلجأ إليها حكومته، وأن فرض الرقابة الدولية على القناة عن طريق المفاوضات السلمية هو ما تحرص عليه بريطانيا كل الحرص.

١٦ / ٨ / ١٩٥٦ اقترحت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا في الجلسة الثانية التي عقدها مؤتمر لندن، أن تكون إدارة قناة السويس تحت مسئولية مجلس دولي يشتمل على مصر ويرتبط بالأمم المتحدة، وقدم المستر شيبيلوف وزير خارجية الاتحاد السوفييتي مشروعاً آخر يدعو إلى عقد مؤتمر جديد لدرس المشكلة تحضره مصر والهند والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفييتي .

١٨ / ٨ / ١٩٥٦ أعلن الرئيس جمال عبد الناصر في حديث أدلى به إلى وكالة الأنباء العربية أن مصر ترفض الإشراف الدولي على القناة وأكد أن بلاده مستعدة لتأمين حرية المرور في القناة وأنها تتمسك بما نصت عليه معاهدة ١٨٨٨، بهذا الصدد .

٢٣ / ٨ / ١٩٥٦ أنهى مؤتمر لندن أعماله بالتصويت بأكثرية ١٨ عضواً من أصل ٢٢ على تأليف لجنة خماسية لمفاوضة مصر برئاسة روبرت منزيس رئيس حكومة أستراليا، وتضم اللجنة ممثلين عن أستراليا وإيران والحبشة والسويد والولايات المتحدة، أما الدول المعارضة لتأليف هذه اللجنة فهي الهند وإندونيسيا والاتحاد السوفييتي .

٢ / ٩ / ١٩٥٦ عقد في القاهرة الاجتماع الأول بين الرئيس جمال عبد الناصر وأعضاء اللجنة الخماسية .

٦ / ٩ / ١٩٥٦ رفض الرئيس جمال عبد الناصر القبول بمشروع الدول الثماني عشرة القاضي بإنشاء إدارة دولية لقناة السويس .

٩/ ٩ / ١٩٥٦ غادرت اللجنة الخماسية القاهرة إلى لندن بعد أن فشلت في مفاوضاتها مع الرئيس جمال عبد الناصر .

١١ / ٩ / ١٩٥٦ سمحت شركة قناة السويس الليلة لموظفيها في القنال بما فيهم حوالي مائتي مرشد بترك عملهم في مصر بعد ١٥ سبتمبر الجاري .

١٢ / ٩ / ١٩٥٦ عقد مجلس العموم البريطاني جلسة، أعلن فيها أنطوني إيدن رئيس الوزارة عن تأليف هيئة دولية من بريطانيا وفرنسا وأمريكا تقوم بالإشراف على المرور في القناة وتقوم بتحصيل رسوم المرور .

١٣ / ٩ / ١٩٥٦ أبلغت مصر الولايات المتحدة بأن تطبيق نظام هيئة – مستعملي القناة سيكون معناه الحرب، وأعلنت أمريكا أنها لا تنوي شق طريق لسفنها بالقوة إذا ما منعت مصر مرور البواخر فيها، لكنها دعت مصر إلى إعادة النظر في رفضها العنيف للمشروع الرامي إلى إنشاء هيئة لمستعملي القناة .

obeikandl.com

١٩ / ٩ / ١٩٥٦ أذاعت الحكومة السوفييتية بياناً رسميّاً جاء فيه أن تشكيل هيئة مستعملي القناة استفزاز خطير قد يؤدي إلى نشوب نزاع مسلح .

٢١ / ٩ / ١٩٥٦ اختتم مؤتمر لندن الثاني الخاص بقناة السويس أعماله بإصدار ثلاث وثائق: الأولى بيان عام حول أبحاث المؤتمر ،والثانية مشروع لتشكيل هيئة مستخدمي القناة والثالثة كتاب موجه من ناظر الخارجية الأمريكي إلى وزير الخارجية البريطانية بصفته رئيس المؤتمر يبلغه فيه انضمام الولايات المتحدة إلى الهيئة الجديدة.

٢٤ / ٩ / ١٩٥٦ رفعت بريطانيا وفرنسا قضية قناة السويس إلى مجلس الأمن، ووافقت الولايات المتحدة على هذه الخطوة .

٢٩ / ٩ / ١٩٥٦ أصدر مؤتمر الرياض الذي حضره رئيسا مصر وسوريا وعاهل السعودية، بلاغاً مشتركاً يدعو إلى الدخول في مفاوضات مع مصر"صاحبة هذه القناة" كوسيلة لضمان مصالح الذين يهمهم أمر الملاحة في القناة.

١ / ١٠ / ١٩٥٦ أعلن مؤتمر لندن الثالث تشكيل" هيئة مستخدمي القناة" مؤلفة من ١٥ دولة تشمل إيران وتركيا، ورفضت باكستان والحبشة الاشتراك .

٦ / ١٠ / ١٩٥٦ اجتمع مجلس الأمن للنظر في قضية قناة السويس، وقد تقدمت بريطانيا وفرنسا بمشروع قرار أيدته الولايات المتحدة من شأنه أن يضع القناة بعد مفاوضة مصر تحت سلطة هيئة المستخدمين الدولية .

٨ / ١٠ / ١٩٥٦ رفضت مصر مشروع القرار البريطاني–الفرنسي المقدم إلى مجلس الأمن، واقترحت بدورها تشكيل هيئة للمفاوضات تبحث عن حل للأزمة، وقد أيد الاتحاد السوفييتي الاقتراح المصري .

١٤ / ١٠ / ١٩٥٦ عقد مجلس الأمن جلسة سرية تبنى فيها مشروع قرار بريطاني– فرنسي جديد مؤلف من ٦ نقاط، ينص على حرية الملاحة في القناة واحترام السيادة المصرية وإبعاد القناة عن السياسة وتحديد رسوم المرور وفقاً لاتفاق يعقد بين مصر ومستخدمي القناة مع تخصيص قسم عادل من دخل القناة للقيام

بأعمال التحسين، وإحالة جميع الخلافات التي تنشأ بين مصر ومستخدمي القناة إلى هيئة تحكيم دولية .

٢٩ / ١٠ / ١٩٥٦ بدأ الاجتياح الإسرائيلي لسيناء .

٣٠ / ١٠/ ١٩٥٦ وجهت الحكومتان البريطانية والفرنسية إنذاراً إلى مصر وإسرائيل بإيقاف العمليات الحربية خلال اثنتي عشرة ساعة وإلا تدخلت قواتهما لفصل المتحاربين وحماية قناة السويس، ورفضت الحكومة المصرية الإنذار البريطاني-الفرنسي، أما الولايات المتحدة فقد دعت مجلس الأمن إلى الانعقاد للنظر في الهجوم الإسرائيلي على مصر . (١)

ومن هذه التواريخ نتبين كم استغرق تفكير فرنسا وانجلترا وإسرائيل في العدوان على مصر لقد اتخذت فرنسا وانجلترا جميع السبل لحل المشكلة سلمياً بما يخدم مصلحتهما، ولما فشلتا قررتا الحرب على مصر وأعدت لذلك العدة فقد عقدتا عدة اجتماعات للتشاور والتنسيق ،ثم عرضا الأمر على الولايات المتحدة الأمريكية حليفتهم الإستراتيجية ، ونسَّقا مع إسرائيل التي تشاركهما الرغبة في القضاء على عبد الناصر.

لقد تم ذلك في الفترة ما بين ٢٦ / ٧ / ١٩٥٦ إلى ٣٠ /١٠/ ١٩٥٦ أي حوالي مائة يوم ، في الوقت الذي اتخذ عبد الناصر قرار التأميم في بضع ساعات !!

وليس ذلك توانٍ منهم بل حكمة وسياسة ، كما أن تسرع عبد الناصر في اتخاذ القرار ليس عبقرية وذكاء بل عجلة وحمق . ولا يتعجل القارئ العزيز فيقول إن عبد الناصر هو الذي انتصر في هذه المعركة في حين جرَّ العدوان الثلاثي ذيول الخيبة فإن الأمر لم يجر على هذا النحو من تسطيح الأمور ، إنما الأمر أعمق من ذلك والعواقب كانت وخيمة على مصر من جرَّاء هذا التأميم .

نتائج أزمة تأميم قناة السويس

وحتى يجهض عبد الناصر أية محاولة تأييد لرأي صلاح سالم الرامي إلي تسليم عبد الناصر نفسه للسفارة الإنجليزية ، ويحبط محاولة بعض السياسيين القدامى في

---

(1) هذا الثبت التاريخي نقلاً عن موسوعة " ناصر " أ.د. رءوف عباس حامد .

مصر الذين قرروا أن يتجمعوا ويرسلوا رسالة إليه لإقناعه بقبول الإنذار تحت شعار إنقاذ ما يمكن إنقاذه لذا أرسل في طلب كتيبة ضرب نار من الحرس الجمهوري ووقف في ساحة مجلس الوزراء ، وأقسم أن يعدم رميّاً بالرصاص أي إنسان يأتي ليقترح عليه قبول الإنذار . [1]

هل هذه طريقة إدارة أزمة أو حتى طريقة إدارة حوار ؟! أن أهدد كل من يعترض على رأيي بالإعدام رميّاً بالرصاص !!

وكانت نتائج قرار تأميم قناة السويس وسوء إدارة عبد الناصر للأزمة العدوان الثلاثي على مصر الذي دمَّر سلاح الطيران المصري كله ، كما دمَّر ثلث الجيش المصري ، وكل السلاح الروسي ، وتسبب في استشهاد أكثر من ١٠٠٠ مقاتل مصري غير الجرحى وتدمير مدن القناة .

يقول حمروش : " إن القوات المصرية قد انسحبت من سيناء دون الدخول في معارك تصادمية مع القوات الإسرائيلية ، ولم يصمد القادة العسكريون في وجه الغزاة البريطانيين في بور سعيد كما صدمت المقاومة الشعبية ، وضربت الطائرات المصرية وهي جاثمة على الأرض دون حركة مقاومة ، ولم تثبت القيادة العامة للقوات المسلحة (عبد الحكيم عامر) قدرة حقيقية على توجيه القتال .. كانت نتيجة العدوان الثلاثي على مصر بمقياس العمليات العسكرية هزيمة لا شك فيها ؛ فقد فرض القتال فرضاً في توقيت غير مناسب لم تتوفر فيه الاحتياجات اللازمة للقتال، ومع ذلك فقد ضاعف اشتراك ثلاث دول في العدوان مرارة الهزيمة .

وقد بلغت خسائر الجيش المصري ألف قتيل ، واستشهد في عملية المقاومة الشعبية في بور سعيد ، وأسر ستة آلاف مصري وفلسطيني معظمهم من قطاع غزة، ولكن أفرج عنهم تدريجيّاً بعد وقف القتال ، ولم تبلغ خسائر المعتدي إلا ١٧١ قتيلاً إسرائيليّاً ، و٢٦ جنديّاً فرنسيّاً وبريطانيّاً .

([1]) محمد أنور السادات " البحث عن الذات " مرجع سابق ص ١٥٨.

obeikandl.com

كما كان من نتائج حرب السويس أن شرم الشيخ وغزة لم تعودا إلى مصر وإنما وضعتا تحت إشراف قوات الطوارئ الدولية ، وعندما انسحبت القوات الدولية منهما في مايو ١٩٦٧ بناءً على طلب عبد الناصر احتلت إسرائيل سيناء وغزة والضفة ومرتفعات الجولان وهكذا فإن حرب السويس ٥٦ كانت مقدمة لحرب سيناء ٦٧ التي راح ضحيتها أكثر من ٣٥ ألف شهيد غير آلاف الجرحى.

وأمام الفشل الواضح في إدارة معركة السويس اقترح عبد الحكيم عامر أن يقدم استقالته من قيادة القوات المسلحة، ولكن جمال عبد الناصر لم يوافق على ابتعاد صديق عمره ، وأصرَّ على بقائه رغم اعتراض ذلك مع فكرته عنه وخلافه معه أثناء وضع خطة المعركة ، وكان التشبث به سبباً في بقاء صدقي محمود في مركزه رغم مسئوليته عن كارثة الطيران حيث وافق عبد الناصر على أن يعطيه فرصة ثانية .[١]

ولست في حاجة أن أذكرَّك ، عزيزي القارئ ، بسبب تمسك عبد الناصر بعبد الحكيم عامر قائداً عاماً للقوات المسلحة بعد الفشل الذريع في قيادته للقوات المسلحة، في مواجهة العدوان الإسرائيلي وحده الذي بدأ يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ وتمكن من هزيمة الجيش المصري واحتلال أرض سيناء قبل دخول بريطانيا وفرنسا المعركة فقد بدأ نزول قوات المظلات البريطانية في بور سعيد والفرنسية في بور فؤاد يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ أي بعد حوالي سبعة أيام من بدأ الغزو الإسرائيلي .

يقول ديان : " وفي التاسعة والنصف من صباح ٥ نوفمبر سقط شرم الشيخ آخر المواقع المصرية في سيناء ". [٢]

وتقول جولدا مائير التي كانت وزيرة الخارجية حينئذ : " بدأت معركة سيناء بعد غروب يوم ٢٩ أكتوبر ، وانتهت كما هو مقرر يوم ٥ نوفمبر واستغرق الأمر من قوات الدفاع الإسرائيلية ١٠٠ ساعة لكي يعبروا ويستولوا من المصريين على قطاع

([1]) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليه " ج٢ مرجع سابق ص ٥٠ ، ٥١ .
([2]) موشى ديان " ديان يعترف " مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر ص ١٥١.

غزة وشبه جزيرة سيناء ، وهي منطقة تبلغ مساحتها مرتين ونصف مساحة إسرائيل ، وكان اعتمادنا على المفاجأة والسرعة وإحداث الفوضى الشاملة في الجيش المصري ، ولم أدرك مدى النصر الذي حققناه إلا بعد أن ركبت الطائرة حتى شرم الشيخ في أقصى جنوب شبه سيناء ، وبعد أن طفت قطاع غزة بالسيارة وكانت هزيمة المصريين كاملة ؛ فقد تمَّ قطع الاتصال بين الفرق المصرية الموجودة في الصحراء ، وتم تطهير مخابئ الفدائيين ، وأصبحت مئات الآلاف من الأسلحة وملايين القطع من الذخيرة عديمة القيمة ، وتم تحطيم ثلث الجيش المصري ، كذلك أسرنا ٥.٠٠٠ جندي مصري ، واستبدلناهم بالطبع بالأسير الإسرائيلي الوحيد الذي تمكن منه المصريون."[١]

وفي صباح ٧ نوفمبر ١٩٥٦، أي بعد أقل من عشرة أيام من بدء العدوان، جاء إعلان وقف القتال بعد صدور قرار بذلك من الجمعية العامة للأمم المتحدة بضغط من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي اللتين وقفتا ضد العدوان، وباشر همرشولد السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة إنشاء قوة طوارئ دولية وصلت بور سعيد في ٢١ ديسمبر ١٩٥٦، وسحبت فرنسا وبريطانيا قواتهما في ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ .

والدعاية الناصرية عللت هزيمة إسرائيل لمصر واحتلالها لسيناء بأنه لا قبل لأي دولة برد عدوان ثلاثة دول من بينها دولتان عظميان . والحقيقة أن القوات المسلحة قد ظلمت ظلماً بيِّناً في هذه المعركة التي لم تكد تدخل فيها وتصمد لقوات العدو ، وتمنعها من التقدم حتى صدرت لها الأوامر بالانسحاب شرق القناة ، وهذا القرار قد أعطى للعدو الصهيوني فرصة للادعاء أنه – وحده – قد استطاع أن يهزم الجيش المصري ، ويحتل سيناء . ولو أتيحت فرصة القتال للجيش المصري – رغم ضعف التدريب ، وعدم استيعابه الكامل للأسلحة للسوفيتية – لما استطاعت إسرائيل أن تحتل سيناء ، لكن سحب القوات قبل بدء المعركة وبعدها هو ما أوصل إلى احتلال إسرائيل سيناء .

([1]) جولدا نائير " اعترافات جولدا مائير " ترجمة عزيز عزمي دار التعاون للطبع والنشر ص ٢٣١.

قصة الإنذار السوفيتي

وكان من المفترض أن يفعل الاتحاد السوفيتي شيئاً لإنقاذ مصر من العدوان الثلاثي لكنه تجاهل الأمر تماماً خوفاً من أمريكا ، ولقد عاتب عبد الناصر خروشوف على ذلك ففي الخطاب الذي أرسله جمال عبد الناصر إلى الزعيم السوفييتي "خروشوف" عام ١٩٥٩ جاء فيه : " لقد كنَّا في ميدان القتال – في حرب السويس – وحدنا ، كان جنودنا في سيناء يحاربون وحدهم ، وكان جيشنا وشعبنا في بورسعيد يحاربون في شوارع بورسعيد وحدهم ، ولم نكن نؤمل في عون إلا من الله .

كانت زيارة الرئيس شكري القوتلي (رئيس سوريا حينئذ) تبدأ يوم ٣٠ أكتوبر ثم أُتِيحت له فرصة التباحث مع رئيس الوزراء السوفيتية " بولجانين " بحضور عدد من قادة الاتحاد السوفيتي ، ثم تلقيت رسالة بعدها من الرئيس شكري القوتلي تمثل الموقف كما حدده الرئيس القوتلي بعد اجتماعه بقادة الاتحاد السوفيتي وكان موضحاً بالرسالة :

١– أن الاتحاد السوفيتي غير مستعد لدخول حرب عالمية .

٢– أنه على هذا الأساس لا يستطيع الاتحاد السوفيتي أن يتدخل عسكريّاً ، ولا حتى بإرسال متطوعين .

٣– أن أقصى ما يمكن عمله لمساعدتنا هو إرسال بعض المعدات إلينا ومعها بعض الفنيين.

ومازلت أعتقد – الكلام مازال لعبد الناصر – أن هذه الوثيقة شرف كبير إذ هي خير دليل على أننا حاربنا ولم نكن في ميدان القتال وحدنا فقط وإنا كنا ندرك أيضاً أننا سنظل وحدنا .

ولعلك تدرك يا سيادة الرئيس أن الإنذار السوفيتي الذي لا يستطيع أحد أن ينكر أثره قد صدر من موسكو كان مفاجأة لنا بعد أن مرت تسعة أيام كنا فيها وحدنا ولقد كان يمكن أن نفقد عزيمتنا ولقد كان يمكن أن يشتد اليأس بنا ولقد كان جائزاً يا سيادة

الرئيس أن نستسلم أمام ثلاثة دول هاجمتنا فجأة بينها دولتان من الدول العظمى ، كان يمكن أن نستسلم بعد يومين أو ثلاثة أو أسبوع بل كان يجوز أن نستسلم صباح اليوم الذي صدر فيه إنذاركم من موسكو ، وماذا كان يجدي الإنذار يومها يا سيادة الرئيس إذا كان موضوعه قد انتهى وسقط .

إذن فإن الأمر على حقيقته لم يكن فقط أن الشعب المصري حارب وحده في الميدان ولم يكن فقط يعرف أنه سيظل وحده في الميدان بل كان كل شيء حتى الإنذار السوفيتي الذي صدر بعد تسعة أيام من بدء القتال يتوقف على صمود هذا الشعب واستعداده للتضحية بل وتصميمه على العناد . " [1]

تنكر عبد الناصر لفضل أمريكا في إفشال العدوان الثلاثي

ومن المفارقات أن أكثر الأطراف تضرراً من التأميم كانت بريطانيا وفرنسا، أما أمريكا، التي تسببت بصورة مباشرة في اتخاذ قرار التأميم، فقد أرغمت فيما بعد بريطانيا وفرنسا (المتضررتين) على الانسحاب وأجهضت بذلك العدوان الثلاثي، وكانت تلك بمثابة شهادة وفاة للإمبراطورية البريطانية .

بهذا فإن أمريكا قد أنقذت عبد الناصر من الإنجليز ثلاث مرات [2] هذا بخلاف وقوفها معه في العدوان الثلاثي.

ولكن عبد الناصر لم يشأ أن يعترف لأمريكا بالجميل في إجلاء العدوان الثلاثي ويحسن علاقته بها بل راح في خطبه وأحاديثه وإعلامه يكرر الشكر للاتحاد السوفيتي الذي أنقذه من العدوان مما أغضب ايزنهاور وقرر عدم مساعدته ثانية بل العمل على إسقاط نظامه ، وهو ما أدى إلى كارثة ١٩٦٧ .

يقول السادات : " كان على عبد الناصر أن يتعلم الدرس مما حدث فيدرك أن استراتيجية إسرائيل هي أن نكون على خلاف مع أمريكا ، ولكنه بدلاً من أن يفعل

([1]) نقلاً عن حسنين هيكل " سنوات الغليان " مرجع سابق ص ١٠٠٩، ١٠١٠ .

([2]) المرة الأولى عند قيام الثورة ، والثانية عند توقيع معاهدة الجلاء ، والثالثة عند رفضها تنفيذ خطة اغتياله.

obeikandi.com

ذلك فعل العكس تماماً فنجده بعد عدوان سنة ٥٦ يشيد بالإنذار السوفييتي وينسب إلى السوفييت كل شيء ويهمل الإشارة إلى قرار ايزنهاور بالانسحاب رغم ما في هذا من مجافاة للحقيقة ، فالذي جعل هزيمتنا تنقلب إلى نصر كان القرار الأمريكي، وليس الإنذار الروسي ، هذا إلى جانب أن عبد الناصر وهو الرجل السياسي المحترف كان عليه أن ينتهز هذه الفرصة لتوطيد العلاقات بين مصر وأمريكا ، ولو ومن باب ضرب استراتيجية إسرائيل التي كانت تسعى إلى العكس.

ولكن هكذا كان عبد الناصر تختلط عليه الأمور ويفقد البصيرة وخاصة لأنه كان يتأثر جداً بتحليلات المحيطين به والذين لم يكونوا شرفاء في تقديم النصح له فقد كان همهم أن يضخموا ذات عبد الناصر حتى تبقى لهم مناصبهم ونفوذهم ." [١]

ندم أمريكا على مساعدة عبد الناصر في حرب السويس

لقد تعلم نيكسون رئيس الولايات المتحدة الدرس من ايزنهاور حيث وقف ايزنهاور مع عبد الناصر ضد أصدقائه ثم تنكر عبد الناصر لهذا الدور وراح يشيد بالإنذار السوفييتي ؛ فقد كان نيكسون " يميل إلى النظر إلى قضايا الشرق الأوسط من زاوية المنافسة العريضة بين الولايات المتحدة والسوفييت . ولعل آراءه تبلورت أثناء أزمة السويس عندما خَلُص إلى الرأي القائل إن سياسة ايزنهاور في وقف التحرك البريطاني الفرنسي ضد عبد الناصر كانت سيئة التوجيه وكان في اعتقاده أنه لا يسعَ المرء أن يُضْعف الأصدقاء ، وأن يساعد الخصوم الذين يعتمدون على تأييد السوفييت وأدت حقائق عام ١٩٦٩ بكيسنجر إلى المطالبة بتقديم عون قوي لإسرائيل إلى أن يحين الوقت الذي يقرر فيه العرب الانفصال عن موسكو . " [٢]

وكانت نصيحة الرئيس الأمريكي إيزنهاور وهو على فراش الموت لنيكسون عندما ذهبه لزيارته هو وكيسنجر في مستشفى " والتر ريد " العسكري هي : "ألا تتورط

([1]) أنور السادات " البحث عن الذات " المكتب المصري الحديث ط٣ ص ١٦٠ .
([2])وليام كوانت " عملية السلام " مركز الأهرام للترجمة والنشر ص ٧٩ .

obeikandl.com

أمريكا في نزاع الشرق الأوسط بعد أن تنكرت مصر (عبد الناصر) لموقف أيزنهاور ونسبت الفضل في وقف العدوان (الثلاثي على مصر) إلى الاتحاد السوفيتي ." [١]

ويتعجب كيسنجر في مذكراته من موقف عبد الناصر من السياسة الأمريكية فيقول: " كيف اعتقد عبد الناصر أن نيكسون يمكن أن يتحدَّى المعارضة الداخلية والرفض الإسرائيلي والتباعد السوفيتي المتحفظ وكل ذلك من أجل تأييد الحد الأقصى لأهداف دولة (مصر) [٢] رفضت العلاقات الدبلوماسية معنا وظلت سياستها الخارجية غير ودية في أساسها ، وفي الحقيقة أن عبد الناصر سعى إلى التعامل معنا عن طريق الابتزاز غير أنه لم يكن يملك شيئاً يهددنا به ، وقد أصر محمود فوزي (مساعد رئيس الجمهورية للشئون الخارجية) في هدوء بناء على تعليمات عبد الناصر على أن يحصل على شيء مقابل لا شيء ، التأييد الأمريكي ضد إسرائيل ، والتأييد السوفييتي ضد الولايات المتحدة الأمريكية وقيادة الحركات الثورية في العالم الثالث والسياسة الخارجية لا تسير على هذا النحو . " [٣]

كان هذا موقف السياسة الأمريكية فماذا عن موقف الرأي العام الأمريكي في تلك الفترة (١٩٥٦- ١٩٦٩) ؟ لقد كان الرأي العام الأمريكي " ممالئاً لإسرائيل جداً ، ولم يبرح ينظر إلى الدولة اليهودية وكأنها البطل داود وهو يواجه جوليات العربي العدواني الممالئ السوفييت " [٤] .

([1]) كيسنجر " مذكرات كيسنجر " ترجمة وتعليق موسى صبري كتاب اليوم ص ٥٤ .

([2]) في موضع آخر من مذكراته ذكر كيسنجر هدف عبد الناصر من الاتصالات الدبلوماسية مع أمريكا فقال: " وقد أصر عبد الناصر على الانسحاب غير المشروط من جميع الأراضي المحتلة ولكنه لم يوضح على الإطلاق ما هو الحافز لدى إسرائيل للانسحاب في مقابل عروضه الغامضة بإنهاء حالة الحرب . كما أنه لم يذكر سابقة واحدة على تسوية سلمية ترتكز فقط على الانسحاب غير المشروط للمنتصر من الأراضي التي احتلها . " نفسه ص ٤٦ .

([3]) كيسنجر " مذكرات كيسنجر " مرجع سابق ص ٦٩ .

([4]) وليام كوانت " عملية السلام " مرجع سابق ص ٨١ .

اتفاقية الجلاء

وبعد العدوان الثلاثي واحتلال إسرائيل سيناء أثناءه ، والإنذار الأمريكي الشهير القاضي بوجوب انسحاب الغزاة (إنجلترا ، وفرنسا ، وإسرائيل) تقرر الجلاء للجميع بالشروط الآتية :

أولا: وضع ستار دفاعي من قوات الأمم المتحدة على الحدود بين القوات المصرية والإسرائيلية.

ثانيا: فتح مضيق "تيران" المسيطر على ميناء إيلات للملاحة، والتجارة الإسرائيلية.

ثالثا : إخلاء شرم الشيخ لهيئة الرقابة الدولية .

رابعا: الاتفاق على أنواع محددة من الأسلحة لا تتعدى حدوداً مرسومة جهة الشرق.

وكانت هذه الشروط في واقعها تنازلات أكيدة من الجانب المصري . [١]

يقول موشى ديان : " إن إسرائيل حققت أهدافها من هذه الحرب ، ولكنها لم تحقق هدفها في المفاوضات المباشرة مع مصر ؛ إذ تم التوصل إلى اتفاقية عن طريق السكرتير العام للأمم المتحدة كوسيط للفصل بين الطرفين ، وكان شرطنا للجلاء عن الأراضي المصرية ، ضمان حرية الملاحة الإسرائيلية في خليج العقبة . وفي ١٦ مارس ١٩٥٧ ، وبعد أربعة أشهر ونصف من المعركة عادت القوات الإسرائيلية إلى حدودها ، وكانت آخر القوات الأنجو فرنسية قد غادرت القناة قبل هذا الموعد بشهرين ونصف ، ولم تعد شرم الشيخ أو غزة إلى مصر وإنما وضعتا تحت إشراف قوات الطوارئ الدولية . " [٢]

كذب عبد الناصر وكتابه على الشعب المصري

لقد كذب عبد الناصر على الشعب المصري ، ولم يذكر لهم شيئاً عن قوات الطوارئ الدولية ، ولا عن حرية الملاحة الإسرائيلية في خليج العقبة ، بل أفهمهم أن

([1]) أحمد حمروش " ثورة يوليو " ج٢ ص٥٢ .

([2]) موشى ديان " ديان يعترف " مرجع سابق ص ١٥١ .

الانسحاب الإسرائيلي من سيناء تمَّ بدون شرط أو قيد ، وأكثر من هذا فإن التاريخ الذي كتب في الحقبة الناصرية ساير عبد الناصر في هذا الادعاء .

يقول عبد الرحمن الرافعي : " وفي غضون تلكؤ إسرائيل في الانسحاب عرض دالاس وزير الخارجية الأمريكية مشروعاً يقضي بأن تنسحب إسرائيل مقابل إباحة الملاحة لها في المياه الإقليمية بخليج العقبة ووضع قوات الأمم المتحدة في غزة بحجة حماية إسرائيل من العدوان المصري ، رفضت مصر هذا المشروع .

وانسحبت إسرائيل من العريش في ١٤ يناير سنة ١٩٥٧ ثم انسحبت من رفح وخان يونس . وانسحبت من غزة في ٦ مارس بعد أن نسفت المنشآت العسكرية والمدنية فيها ، كما انسحبت من شرم الشيخ ، وهي آخر نقطة كانت تحتلها في خليج العقبة في ٦-٧ مارس وتمَّ انسحابها بلا شرط ولا قيد .

وكانت إسرائيل تريد أن تتسلم قوة الأمم المتحدة الإدارة في منطقة غزة فرفضت مصر هذا الطلب وتسلمت الإدارة المصرية شئون الحكم فيها . " [1]

هكذا كان يكتب تاريخ مصر في عصر عبد الناصر يكتب على هوى النظام الحاكم لذا فلا عجب أن تجد كثيراً من الناس يدافع باستماتة عن التجربة الناصرية في الحكم ويعدد لك بطولات حققها عبد الناصر كانتصاره في حرب السويس وقدرته على إجلاء العدوان الثلاثي عن مصر دون قيد أو شرط ، ومعاداته الدائمة لأمريكا وإسرائيل والغرب وقدرته على إحباط جميع مخططاتهم في المنطقة ، وإيمانه بالقومية العربية وقدرته على توحيد العرب تحت زعامته ... وكل هذه وغيرها أكاذيب روجتها آلة الإعلام الناصرية ومن كثرة تكرارها تم إقرارها ولم يعد أحد يناقشها بعدما أصبحت من المسلمات !!

مما أدى إلى غيبة وعي الشعب المصري في ذلك العهد مما حدا بمفكر من أكبر مفكرينا المصريين بل والعرب وهو توفيق الحكيم إلى إصدار كتاب – بعد وفاة عبد

([1]) عبد الرحمن الرافعي " ثورة ٢٣ يوليه " مرجع سابق ص ٣١٧ ، ٣١٨ .

Obeikandl.com

الناصر وتحرر مصر من قبضته – بعنوان " عودة الوعي " يعترف فيه وهو ، المفكر الكبير ، أنه كان مصاباً أثناء الحقبة الناصرية بغيبة الوعي .

يقول كاتبنا الكبير توفيق الحكيم : " لم يكن فينا رجل يقول أو يستطيع أن يقول : كفُّوا عن ترديد كلمة النصر هذه التي نطلقها بغير وعي ولا معنى على كل شيء يصادفنا ، إن البلاد التي انتصرت فعلاً الانتصارات العسكرية أو العلمية أو الحضارية لم تكثر هكذا ولم تسرف في ترديد هذه الكلمة في كل موضع وبمناسبة وغير مناسبة بلا حياء أما والهزائم قد توالت فما هي دواعي الاستمرار فيما قد يثير السخرية ، إلا أن يكون هو الاطمئنان إلى أن الوعي العام مفقود ، أتراه كان تحطيماً مقصوداً لوعي مصر ؟

إن الكتب المدرسية في أيدي الشباب تضخم أمجاد الثورة تضخيماً تشتم منه رائحة التزييف والملق ، وتترك في ظلام اللاوعي صفحات مشرقة لعهود أخرى .

ولكننا نحن كهول الثورة ما عذرنا ؟ ما الذي خدَّر عقولنا ؟ فينا من يقول إن إجراءات عنيفة قد اتُّخِذَت لمنع تكوين رأي عام حر يناقش ويعارض ، وإنها الرقابة المشددة على كل ما ينشر ويذاع ثم المعتقلات لمن يشتبه في رأيه المخالف مع ألوان من التعذيب بلغت فظاعتها مبلغ الأساطير ، وفينا من يقول إن من أفلت من الاضطهادات وقع في شرك الأوهام ؛ فالحقائق محجوبة ، والرؤية الصحيحة للأشياء ممنوعة ، ولم يبق أمامنا إلا اتجاه واحد وصورة واحدة هي ما ترسمه لنا سلطات محفوفة بدوي الطبول سحرونا ببريق آمال كنا نتطلع إليها من زمن بعيد ، وأسكرونا بخمرة مكاسب وأمجاد فسكرنا حتى غبنا عن الوعي .

إن عبد الناصر أهدى إليَّ كتابه " فلسفة الثورة " عند صدوره ، لقد كان بالإهداء عبارة فيها إشارة إلى كتاب " عودة الروح " مطالباً بعودة لروح أخرى في عهد الثورة ، ولم يَدُر بخلدي وقتئذ أن ما سوف تحتاج إليه مصر بعد عشرين سنة من عمر الثورة ليس " عودة الروع " ولكن " عودة الوعي " . [1]

([1]) توفيق الحكيم " عودة الوعي " دار الشروق ص ٧٤ ، ٧٥ .

ونسي عبد الناصر الحكمة القائلة : " إنك تستطيع أن تخدع بعض الناس بعض الوقت ، ولكنك لا تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت " .

عبد الناصر يعترف رسميا بإسرائيل

وبعد جلاء العدوان الثلاثي وتوقيع اتفاقيته تأكد اعتراف عبد الناصر – الرسمي – بإسرائيل وبحقِّها في الوجود ، وبحرية الملاحة الإسرائيلية في خليج العقبة، وأصبح مسألة مرور السفن رافعة العلم الإسرائيلي في خليج العقبة أمراً واقعاً ، كما سمح بقوات الطوارئ الدولية أن ترابط في شرم الشيخ وقطاع غزة ، وعليه فإن عبد الناصر لم يطلق رصاصة واحدة نحو إسرائيل لمدة إحدى عشرة سنة (من ٥٦ – ٦٧) مما جعل القوى الراديكالية العربية تتهم جمال عبد الناصر بأنه يخبئ وراء القوات الطوارئ الدولية ، وأنه عاجز عن فعل شيء للقضية الفلسطينية إلا الكلام مما جعله يقدم على اتخاذ قرار عنتري آخر من قراراته غير المدروسة فأغلق مضيق تيران وأجلى قوات الطوارئ الدولية وهو يتوقع – كما هي عادته – إن مثل هذا الإجراء لن يكون له أي رد فعل لإسرائيل بل على العكس فإنه سيقوي من زعامته، ولكن الذي حدث أن إسرائيل التي كانت تجهز للحرب من عشر سنوات انتهزت هذه الفرصة وهجمت على مصر وحققت ما لم تكن تحلم به من انتصار.

لقد كانت خاتمة حرب السويس هي بداية كارثة ٦٧ ، وفي ذلك يقول هيكل : " يلاحظ أن هناك تداخلاً بين معركة السويس عام ١٩٥٦ وقصة معركة سيناء ؛ لأن خواتيم قصة سنة ١٩٥٦ هي نفسها مقدمات قصة سنة ١٩٦٧ فلم تكن معركة سنة ١٩٥٦ بالنسبة إلى معركة سنة ١٩٦٧ علاقة شجرة بجذورها فقط ، وإنما علاقة جنين برحم ". [١]

مكاسب إسرائيل من حرب السويس

أحدثت حرب العدوان الثلاثي على مصر تحولات مهمة في سياسة إسرائيل الخارجية إذ سعت بدورها إلى زيادة ارتباطها بالولايات المتحدة الأمريكية وإلى ربط

([1]) محمد حسين هيكل " سنوات الغليان " مرجع سابق ص ٢٥ .

obeikandl.com

مصالحها الذاتية بتلك الدولة العظمى ، وقد كان ذلك بمثابة بدء ممارسة إسرائيل لدور الشرطي المحلي بالمنطقة ، وهو نفس النموذج المتكرر في بعض دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية ، وإن بقيت لإسرائيل المكانة المتميزة لكونها الشرطي النووي لأوحد بين أقرانها وذلك لأول مرة في تاريخ هذا النوع من الشرطة .

كما خرجت إسرائيل بعدة مكاسب سياسية وعسكرية على رأسها الآتي :

١- هزيمة الجيش المصري ، وتدمير جزء كبير من سلاحه الشرقي ، وما ترتب على ذلك من اكتساب قواتها مكانة عسكرية رفعت من معنوياتها ومعنويات الشعب ووثقت ارتباطات الجاليات اليهودية بدولة إسرائيل ، وزادت من تدفق التبرعات والهبات المادية والعينية عليها .

٢- نفذت إسرائيل إلى الترسانة الحربية الفرنسية حيث حصلت منها وبشروط ميسَّرة على أنواع من الطائرات النفاثة الأسرع من الصوت ، وأنواع متطورة من الدبابات والعربات المجنزرة ، علاوة على حصولها على مفاعل نووي فرنسي مكنها من الدخول عضواً في النادي النووي الدولي .

٣- حققت إسرائيل حرية الملاحة في خليج العقبة لسفنها الحربية والتجارية ، كما ربطت ميناء " إيلات " بالطرق البحرية والتجارية العالمي .

٤- لقد شكل العدوان الإسرائيلي في جولة خريف ١٩٥٦ نقطة التحول بالنسبة للقوات المسلحة الإسرائيلية من مستوى خوض الغارات الانتقامية في ميادين القتال إلى شن العمليات الحربية في مسارح الحرب وكان وراء هذا التحول الكبير عدة مؤثرات نجملها في أن الزعامة السياسية الإسرائيلية بعد أن أيقنت أن التواطؤ كان الصخرة التي تحطم عليها العدوان ، وأجبره على إعادة كل ما اكتسبه ، عقدت العزم على أن تشن الجولة التالية بالقدرات القتالية دون تواطؤ خارجي سافر .

٥- بذلت القيادة العسكرية الإسرائيلية جهداً في دراسة حرب العدوان الثلاثي من جميع جوانبها السياسية والعسكرية والاقتصادية والمعنوية ، وحصرت نقاط القوة والضعف ،

كما أنها استغلت الأشهر الأربعة التي ظلت تحتل خلالها شبه جزيرة سيناء حتى مارس ١٩٥٧ في دراسة طبوغرافية الأرض ورسم خرائطها.

٦- راجعت القيادة العسكرية مستوى أداء ضباطها في الميدان بدءاً بقيادة الكتائب وحتى قادة المناطق العسكرية الإسرائيلية فأنهت خدمات من ثبت عدم صلاحيتهم للقيادة الميدانية وهم لم يكونوا قلَّة وركزت اهتمامها على زيادة كفاءة من أثبت منهم قدرة عالية على سرعة التصرف في المواقف الصعبة ، مع التحلي بالروح الهجومية والقدرة على قيادة المجموعات الكبيرة من الجنود وتكفي النظرة على قوائم قادة مجموعات العمليات ثم قادة اللواءات في جولة صيف ١٩٦٧ م لنجد أنهم كانوا أبرز قادة اللواءات والكتائب في جولة خريف ١٩٥٦م .

مكاسب مصر السياسية والاقتصادية بين الحقيقة والافتراء

ذكر الناصريون كثير من المكاسب التي جنتها مصر من وراء أزمة تأميم القناة منها:

١- إنهاء مشكلة قناة السويس بما حفظ لمصر كل حقوقها المشروعة في ذلك المرفق الحيوي والشريان البحري المهم وفرض كامل هيمنة مصر عليه .

٢- إلغاء المعاهدة البريطانية المصرية وتحطيم آخر الأغلال التي كانت تقيد حرية مصر وتربطها بالاحتلال الغربي ، وتفقدها جزءاً من ملكية ترابها الوطني ليقيم عليه هذا الاحتلال قواعده العسكرية .

٣- استيلاء مصر على القاعدة العسكرية البريطانية على ضفتي قناة السويس بكل ما تحويه من أسلحة وذخائر ضخمة .

٤- إعلاء شان مصر إقليميّاً ودوليّاً .

وفي مقابل ذلك ذكر آخرون خسائر مصر السياسية والاقتصادية .

يقول د. عبد الرحمن بدوي الفيلسوف العربي الكبير : " " كانت السنة الأولى من عملي في سويسرا عام ١٩٥٦ سنة حافلة بالأحداث السياسية الخطيرة التي هزَّت مصر هزًّا شديداً ، وأبرزها تأميم قناة السويس في ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ وما ترتب عليه من حوادث جسيمة : سياسية واقتصادية .

Operkanar.com

فمن الناحية الاقتصادية تدهور سعر صرف الجنيه المصري في سويسرا : فبعد أن كان قبل ٢٦ يوليو في السوق الحرة في المتوسط ١١.٥ فرنك سويسري أخذ ينهار فصار بعد يومين اثنين ٨.٥ فرنك واستمر التدهور يوماً بعد يوم حتى بلغ ٤ فرنكات يوم مغادرتي سويسرا ٢٣/ ١١ / ١٩٥٨ ، وواصل تدهوره حتى بلغ اليوم (١٩٨٦) فرنكين اثنين !

وقامت أزمة المرشدين في قناة السويس ، ولولا نجدة يوغوسلافيا واليونان لكادت الملاحة أن تتوقف ، وعلى كل حال فقد أخذ عبور السفن في التضاؤل ، مما قلَّل كثيراً من عائدات المرور .

وتوالى هجوم الصحف الأوربية والأمريكية على مصر في عنف منقطع النظير ، حتى في الدول التي لا يسهم أبناؤها في شركة قناة السويس ومنها سويسرا ، وحين كنت أتحدث مع المثقفين والأساتذة السويسريين في هذا الموضوع سائلاً إياهم : وما شأنكم أنتم في قناة السويس وليس لكم فيها أسهم ثم إنكم صنعتم نفس الصنيع بالنسبة إلى ممر " سمبلون " كان جوابهم : نحن لا نعترض على التأميم نفسه ، وإنما على الكيفية التي تمَّ بها .

وهذه الحجة وجيهة من غير شك ، ويستحيل الردُّ عليها بطريقة مقبولة ؛ ذلك أن امتياز شركة قناة السويس كان ينتهي في عام ١٩٦٧ . فماذا كان علينا لو انتظرنا هذه الأعوام الأحد عشر ؟ إن كنا نريد اختصار المدة الباقية ، فما كان علينا إلا أن ندخل في مفاوضات مع الشركة كما فعلت سويسرا تماماً بالنسبة إلى ممر " سمبلون"؛ وكان من المحتمل جداً أن تستجيب الشركة مقابل بعض التعويضات البسيطة التي خسرنا عشرات أضعافها من إغلاق قناة السويس فيما بعد. حتى ولو لم تستجب الشركة ، لكان من الممكن الضغط عليها من حيث زيادة حصة مصر في العائدات ، وفي عدد كبار الموظفين .

لكن جمال عبد الناصر لم يكن يهمه من الأمر أية منافع اقتصادية ، بل كان يريد عملاً سياسياً مفاجئاً مثيراً يكفل له الشهرة والدوي ، حتى ولو جرَّ على مصر الخراب.

وقد قام بعمله هذا بمفرده دون أن يستشير أحداً من زملائه ووزرائه ، ولم يعرض الأمر على هؤلاء إلا بعد إعلانه وتنفيذه للتأميم ...

وهكذا كانت وستكون كل تصرفات جمال عبد الناصر خارجياً وداخلياً : تصرفات حمقاء طائشة لا تحسب حساباً لأي شيء غير الدوي الأجوف العقيم حول شخصه ، مهما ترتب عليه من خراب وويلات لمصر وشعب مصر ومكانة مصر في المجتمع الدولي . [١]

ويقول أيضاً عن الدعاية الناصرية التي زعمت أننا انتصرنا على العدوان الثلاثي وتمكنا من طرده : " وهنا قلت لنفسي : إن الهزيمة هزيمتان : هزيمة مادية عسكرية، وأخرى معنوية مدمرة لكياننا المعنوي . والثانية أشد وأنكى ؛ لأن معناها هو أننا سنواصل التضليل والكذب على أنفسنا وعلى الشعب المصري ، ولن نسعى لتلافي ما وقعنا فيه من أخطاء ، بل سنظل فرائس للخداع ولأوهام.

إن أول خطوة للإنقاذ هي الوعي بمدى الكارثة والاعتراف الذاتي بالأخطاء الفاحشة التي ترتكبها القيادة السياسية والعسكرية ، ومحاولة التغيير الجذري الشامل للأوضاع التي أدت بنا إلى هذه الكارثة الفظيعة .

لكن الذي فعلته القيادة السياسية والعسكرية كان على العكس تماماً : إذ راحت عن طريق الإذاعة والصحافة توهم الناس أننا انتصرنا نصراً عسكرياً كاسحاً مؤزراً ، وأن المقاومة الشعبية في بور سعيد هي التي ردَّت أساطيل الغزاة الإنجليز والفرنسيين على أعقابها ، وساقت الحناجر المزيفة للتغني بهذا النصر العظيم ، وتشبع الجو بهذه الأباطيل .

وليس ثمَّ عامل أكثر تدميراً لمعنوية أمة من الأمم أشد من الأكاذيب . لكن هذه ستكون الوسيلة التي سيعتمدها الحكام في مصر طوال السنوات التالية ." [٢]

([1]) د. عبد الرحمن بدوي " سيرة حياتي " ج ١ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص ٢٣٧ ، ٢٣٨

([2]) نفسه ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

obeikandl.com

ويقول توفيق الحكيم : " ففي العدوان الثلاثي كان جيشنا في بداية الزحف فأمكن سحبه ، وكانت الحملة مركزة على بور سعيد وكانت أكبر دولتين في العالم (أمريكا وروسيا) متفقتين على ضرورة وقف الحملة في الحال وانسحاب المعتدين ، وكانت هذه أول مرة في نظر العالم المتعجب تتفقان على شيء ، وهددتا معاً تهديدهما العنيف المعروف ، فلم يجد المعتدون بداً من التراجع على الفور ، وأزيلت آثار العدوان بسرعة لا تخطر على البال ، ولكن ما كل مرة تسلم الجرَّة ، وكلمة إزالة آثار العدوان ليست مما يحفظ حفظاً ويتحقق بسهولة في كل الأحوال ؛ ففي العدوان الثلاثي كانت الصورة مختلفة ؛ كانت بورسعيد قد سقطت في أيدي المعتدين من أول وثبة وانتهى أمرها ، وكانت الإسماعيلية في متناول المخالب والأنياب ، ولكن الفزع من الأسدين (أمريكا وروسيا) جعل المخالب والأنياب ترتد عن الفريسة (مصر/ عبد الناصر) وتولي الأدبار، ونهضت عندئذ الفريسة التي نجت بمعجزة وأخذت تصيح في الآفاق : انتصرنا .. انتصرنا .. وتزعق الأناشيد في الأبواق ، مشيدة بمعركة تماثل معركة ستالينجراد قيل أنها في بورسعيد ، وقد لا يكون في ذلك ضرر ولا بأس فما من عيب في رفع الروح المعنوية للشعب ، ولكن الضرر هو أن يكون الغرض هو خداع الناس ، وليس رفع الروح ، إن التلاعب بكلمة النصر لنخفي عن الشعب أسباب عجزنا عن الدفاع عن أرضنا ، وقد ظهرت نتيجة ذلك فيما بعد ؛ فقد كان من جرَّاء خداعنا لأنفسنا وتصديقنا للأكاذيب التي نذيعها عن أنفسنا وللتهاويل التي نضعها ونطلقها في الإذاعات والأناشيد والأغنيات أن قمنا ننشط للمغامرات الحربية ؛ فما كادت قناة السويس تستقر في أيدينا بأعجوبة في عام ١٩٥٦ ونرى ذهبها يلمع في أكفنا حتى مضينا نلقي به على تلال اليمن ". [١]

الدروس غير المستفادة في المجال العسكري لمصر

إذا كانت إسرائيل درست حرب السويس دراسة جادة وعالجت على مدى عشر سنوات الأخطاء التي وقعت فيها،رغم أنها هي التي انتصرت في المعركة ،فإن مصر

([1]) توفيق الحكيم " عودة الوعي " دار الشروق الطبعة الثانية ص ٥٦ – ٥٨ بتصرف .

لم تستفد ، عسكريّاً ولا سياسيّاً ، شيئاً من هزيمتها في حرب السويس مع أن هناك دروساً كثيرة كان عليها أن تتعلمها .

يقول عبد الناصر: " نحن للأسف لم نستفد من دروس سنة ٥٦، ولا من دروس الانفصال، هكذا بقي صدقي محمود قائداً للطيران ١١ سنة بعد السويس." [١]

ومن دروس حرب السويس التي لم يُسْتَفد منها ما يلي:

– في مجال التخطيط للعملية:

١– يجب الالتزام بتنفيذ خطة العمليات المبنية على القرار المصدق عليه حيث خُفِّضت فيها القوات لصالح منطقة القناة ولتقوية احتياطيات القيادة العامة مما أثر على القدرة القتالية وعلى اختلال المقارنات وعدم القدرة على القيام بالهجمات المضادة.

– في مجال الاستطلاع والمخابرات الحربية:

الاستفادة من كل المعلومات المتحصل عليها وعدم إهمالها وتأكيدها من أكثر من مصدر حيث لم تهتم القيادة المصرية بالمعلومات المتحصل عليها من المحلق العسكري في تركيا وكذلك فرنسا ، وجاسوس مصر في إسرائيل رفعت الجمال في تحقيق المفاجأة .

– في مجال تولي القيادة:

يجب تقييم الأداء للقيادات أثناء تنفيذ العمليات وبعد انتهاء العمليات وتنحية القادة غير الأكفاء فلقد استمرت القيادات لعمليات ١٩٥٦ في مواقعها دون تقييم لأدائها مما نتج عنه أن استفحلت الأخطاء على مدى السنوات التالية حتى ظهر ذلك جليّاً في عمليات ١٩٦٧ .

– في تجهيز مسرح العمليات:

أهمية عمل خطة لتجهيز مسرح العمليات بما يخدم تنفيذ خطة العمليات فقد ظهر قصور في تنفيذ خطة تجهيز مسرح العمليات لأعمال القتال المنتظرة مما أثر على أداء القوات لأعمال قتالها . كما لم تأخذ خطة عبور القوات لقناة

([1]) سامي شرف " عبد الناصر كيف حكم مصر ؟ " مدبولي الصغير ص ٣٧٤ .

السويس الأسبقية المطلقة عن عبور السفن للقناة مما أثر على خطة التدفق للقيام بالهجمات المضادة.

– بالنسبة للقوات البرية:

١– أن يتم تدريب القوات على جميع مهام العمليات المنتظرة وذلك أثناء فترة السلم لجميع القوات المشتركة في تنفيذ الخطة .

٢– أهمية السيطرة على القوات في جميع مراحل القتال ففي أثناء إدارة العمليات وصدور أوامر الانسحاب لسرعة إخلاء سيناء فعلى قدر ما هي ضرورية من جهة النظر الإستراتيجية بقدر ما كانت دون المستوى من ناحية التكتيك لأسلوب التنفيذ .

٣– عدم وجود خطة الانسحاب المنظم للقوات تحرص على القيام بأعمال إيجابية أثناء الارتداد تؤثر على العدو وتؤمّن القوات المرتدة مثل : أعمال الكمائن ، وبث الألغام ، ونسف الطرق .

٤– اتبعت بعض القوات أسلوب الارتداد غير المنظم لا علاقة له بشكل التخلص من المعركة والذي يتم على وثبات متتالية للخلف .

– بالنسبة للقوات الجوية:

أهمية توفير دشم للطائرات أثناء تواجدها بالمطارات لحمايتها من هجمات العدو فقد سبب عدم وجود دشم للطائرات في خسائر جسيمة للقوات الجوية لم تمكنها من تقديم المعاونة الجوية اللازمة لأعمال القتال ولم تأخذ هذه التجربة حقها من الدروس المستفادة وتكرر وقوعها بصورة اشد عام ١٩٦٧ . [١]

ولم تستفد القوات المسلحة من أي من هذه الدروس مع الأخطاء الجسام التي وقع فيها القادة في هذه المعركة

يقول حمروش : " لم يصمد القادة العسكريون في وجه الغزاة كما صمدت المقاومة الشعبية ، وضربت الطائرات المصرية وهي جاثمة على الأرض في المطارات دون

([1]) موسوعة " مقاتل من الصحراء " مرجع سابق العدوان الثلاثي "النتائج والدروس المستفادة " .

مقاومة ،ولم تثبت القيادة العامة لقوات المسلحة (عبد الحكيم عامر) قدرة حقيقية على التوجيه والقتال . " [١]

وبالنسبة للقادة غير الأكفاء الذين أثبتت المعركة عدم جدارتهم بمناصبهم التي كانوا يتبوءونها يقول عبد اللطيف البغدادي : " أن الرأي قد استقر على عزل قائد الطيران صدقي محمود ، ولكن عبد الحكيم عامر تمسك ببقائه . "

ويقول زكريا محيي الدين : " إنه تقرر عزل قادة الجيش والبحرية والطيران ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ". [٢]

ويقول هيكل : " إن عبد الناصر بعد تجربة معركة السويس قد تمسك ببقاء عبد الحكيم عامر ورفع رتبته العسكرية حيث لم يكن هناك داع للترفيع ، إن كان جمال قد تصور أنه بذلك يعيد لصديقه الثقة بنفسه أملاً في مستقبل الأيام والتجارب بإتاحة فرصة تعوض وتستكمل ، وتكفلت التجارب بإثبات العكس وكان ذلك من أكبر أخطاء عبد الناصر . " [٣]

ويقول حسين الشافعي : " أهم سلبيات حرب ١٩٥٦ أنه كان هناك أخطاء عسكرية،وأنه كان لابد أن يحدث محاسبة عسكرية بعد المعركة،ولكن عندما تحقق النصر السياسي–للأسف–لم يعط فرصة لمثل هذا التحقيق، ونقطة أخرى:علاقة جمال عبد الناصر بعبد الحكيم عامر كانت من ضمن العوامل التي منعت مثل هذا التحقيق أن يتم،وأنا أعتبر أن هذا التحقيق كان من الأمور الأساسية لمصلحة المستقبل؛لأنه كانت هناك أخطاء عسكرية،كان لا بد أن المسئولين عنها يحاسبون عليها. لم يحدث تغير في القيادات،وهذا من ضمن الأمور التي عانى منها جمال عبد الناصر في المراحل الأخيرة قبل ١٩٦٧م ، ويمكن ١٩٦٧م كانت العملية الأخيرة التي مكنت من

([1]) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليه " ج٢ مرجع سابق ص ٥٠ .
([2]) نفسه ص ٤٩ .
([3]) محمد حسنين هيكل " الغليان " مرجع سابق ص ١٠٤ .

obeikandl.com

توحيد القيادة العسكرية مع القيادة السياسية لأول مرة،وانتهت فترة الصراع على السلطة،والنزاع بين السلطة العسكرية والسلطة السياسية." [١]

وبسؤال سامي شرف (مدير مكتب الرئيس عبد الناصر) عن دور القيادات العسكرية في حرب ١٩٥٦ ؟ قال: "لقد انهارت هذه القيادات منذ اللحظة الأولى ، وظهر ذلك في القرارات والتصرفات العصبية والمتضاربة في كثير من الأحيان ، وكانت المعلومات العسكرية عن العدو قاصرة ، ولم يكن هناك تنسيق في التخطيط، أو في التنفيذ أثناء العمليات ، وكل سلاح يعتبر نفسه إقطاعية مستقلة لا يحق لنظيره أو من يتعاون معه أن يتدخل في شئونه .

وقد استقر رأي الرئيس على تغيير هذه القيادات وتحدث مع عبد الحكيم عامر في ضرورة تغيير بالذات صدقي محمود قائد الطيران ، والفريق سليمان عزت قائد البحرية ، ورأى عبد الحكيم تأجيل الأمر لفترة ؛ حتى يتم التفكير في البدائل وتأهيلها ؛ حتى لا يفسر الأمر وكأنه فشل له شخصياً مما يؤثر على وضعه العام من القوات المسلحة علاوة على أن السيطرة الأمنية على القوات قد تفلت في هذه الظروف." [٢]

ويقول المشير الجمسي : " كان من الضروري أن تتعمق القيادة السياسية والعسكرية في مصر في تحليل حرب السويس ، والخروج منها بالدروس المستفادة لتطوير قواتنا المسلحة بما يجعلها قادرة على تحقيق وتنفيذ مهامها العسكرية بنجاح لتأمين الدولة من الشرق ضد عدو قائم على حدودنا – إسرائيل – بعد أن أعلنت رسمياً نواياها لضم سيناء لأراضيها . ويستتبع ذلك أن يكون لدينا الجهاز العسكري القادر – تخطيطاً وتنفيذاً – على الدفاع عن سيناء وردع العدو ، وعدم إخلاء سيناء – كما حدث خلال العدوان الثلاثي – تحت أي ظرف من الظروف . كما كان من الضروري الارتفاع بمستوى القوات الجوية والدفاع الجوي إلى أعلى درجة من الكفاءة على ضوء خبرة

([1]) حسين الشافعي برنامج " شاهد على العصر " أذيع بتاريخ ١٩٩٩/١١/٠٦ الجزيرة نت .
([2]) سامي شرف " عبد الناصر كيف حكم مصر ؟ " مدبولي الصغير ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

obeikandl.com

العدوان فيتم تأمين الدولة ضد هجمات العدو الجوية ولا يتكرر تدميرها كما حدث في هذه الحرب . وبصفة عامة كان يجب عمل دراسة عميقة لوضع خبرة هذه الحرب موضع التطبيق في كل مجالات العمل العسكري ، ولكن هذه الدراسة لم تتم بالعناية اللازمة والأهمية الواجبة . وكان ذلك بداية سلسلة من الأخطاء السياسية والعسكرية أدت في النهاية إلى هزيمة يونيو التي تكرر فيها ما حدث في العدوان الثلاثي من الانسحاب من سيناء إلى تدمير قواتنا الجوية على الأرض .

وفي الجانب الآخر أخذت إسرائيل من نتائج حرب العدوان الثلاثي ودرسها منطلقاً لتطوير قواتها العسكرية جذرياً مما أدى في النهاية إلى نجاحها في حرب يونيو." [1]

ويقول فريق محمد فوزي : " شاءت الظروف السياسية والمعنوية بعد معركة ١٩٥٦ أن منع القيادة العسكرية نشر أو ذكر حقائقها ؛خوفًا من تقليل شأن المكاسب السياسية الباهرة التي حققتها مصر عقب المعركة .. وفي نفس الوقت علقت أخطاء المعركة العسكرية على شماعة المكسب السياسي وظلت كذلك طوال عشرة سنوات .وبينما كان العدو الإسرائيلي يعمل بجدية في تجهيز قواته المسلحة وشعبه لجولة عسكرية جديدة كانت قواتنا المسلحة منشغلة بقضايا وأمور حالت بينها وبين استيعاب دروس معركة ١٩٥٦ فتكررت نفس الأخطاء ومن ثمَّ كانت هزيمة ١٩٦٧. [2]

هذه هي قصة تأميم قناة السويس كاملة نقولها للذين يجتزئونها في خطاب عبد الناصر العنتري الذي تحدى في أوله الغرب وأعلن في آخره تأميم القناة وسط عاصفة من التصفيق ولا ينظرون إلى عواقب قرار التأميم التي امتدت إلى هزيمة ٦٧.

***

(1) مشير عبد الغني الجمسي " مذكرات الجمسي حرب أكتوبر ١٩٧٣ " مرجع سابق ص ١٩ ، ٢٠ .
(2) مذكرات الفريق أول محمد فوزي " " حرب الثلاثة سنوات ١٩٦٧ / ١٩٧٠ " دار الوحدة للطباعة والنشر ط٢ ص ٨ ، ٩ .

obeikandi.com

obeikandl.com